رواية

جوان ديديون

كيفَما اتّفَق

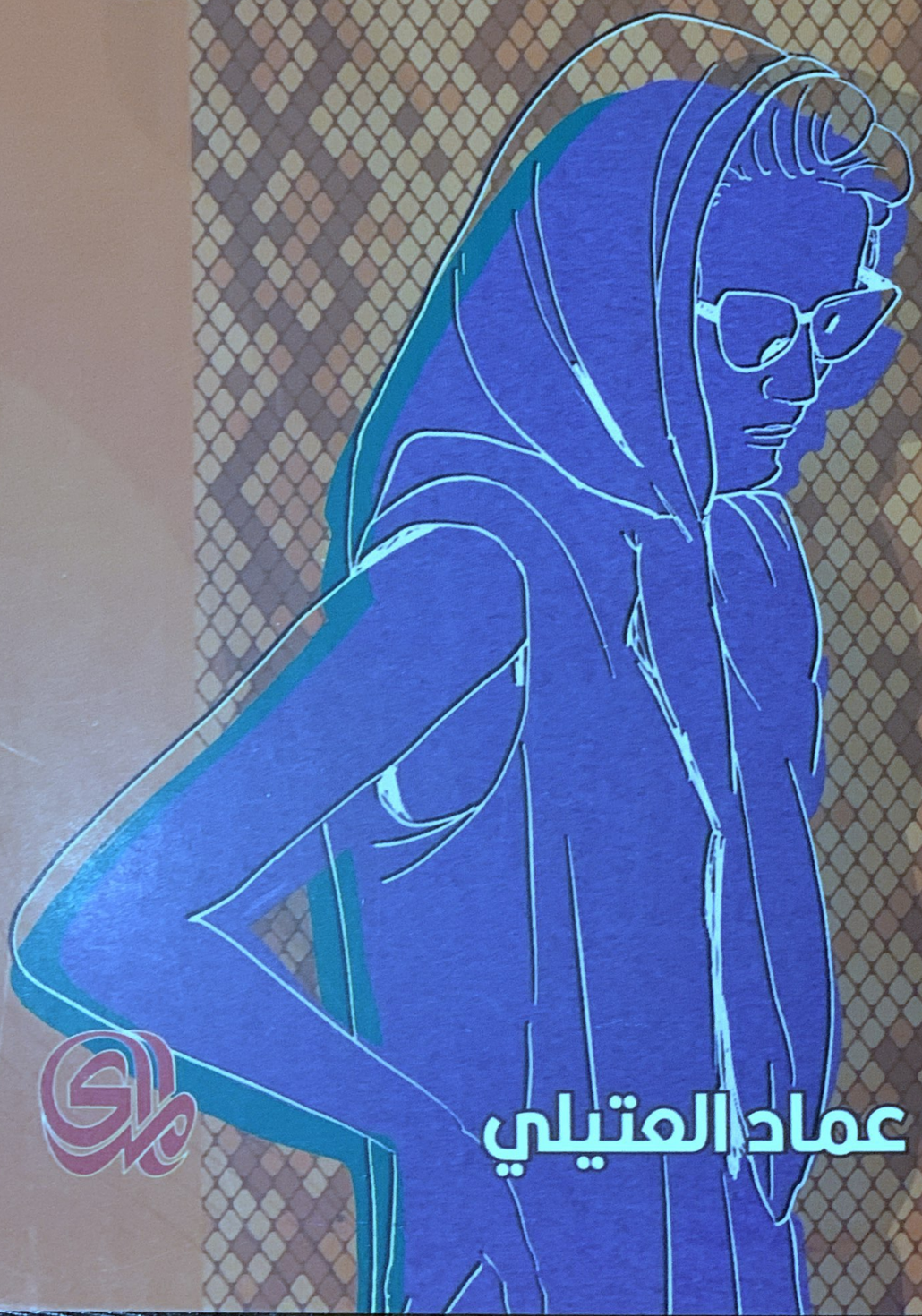

ترجمة: عماد العتيلي

كيفَما اتّفَق

جوان ديديون

كيفَما اتّفَق

ترجمة : عماد العتيلي

تقديم المترجم

لا ينفكُّ كُلُّ إنسانٍ، في هذه الحياة، يُصارعُ أمواجَ بحرِ أسئلتِها طيلةَ عُمُره، فإمّا أن يقهرَها ويُلهَمَ الأجوبَةَ الشّافيةَ فيَصِلَ أخيراً إلى برِّ الأمانِ، وإمّا أن تستهلِكَهُ الأسئلةُ وتفِرَّ منهُ أجوبَتُها فينتهي بهِ الحالُ مُحطّماً فوقَ صخورِ الشاطئ. غيرَ أنَّ بطلةَ هذه القصّة، **ماريا وايث**، اتَّخَذَت طريقاً قلَّ سالكُوه: فاختارَت ألّا تخوضَ البحرَ، وأن تعتزِلَ الصِّراع وتكتفي بعَيشِ الحياةِ كما هيَ، لأنّها تؤمِنُ بأنَّ أسئلةَ الحياةِ لا أجوبةَ لها – وإن وُجِدَت أجوبةٌ، فإنّها لن تعدو كونَها نسبيّة وغيرَ متّفقٍ عليها. كما تؤمِنُ بأنَّ الغاية من الحياةِ مفقودة، والمعنى غائب. وكما قالَ شكسبير: ما الحياةُ إلّا مسرحٌ كبيرٌ، وما النّاسُ إلّا ممثّلون. أو كما قالت ماريا، عن أبيها: ما الحياةُ إلّا طاولة قِمارٍ، وما الناسُ إلّا لاعبون. ولذلك، فإنَّ درسَ الحياةِ الأعظَم، هوَ أن يستمرَّ الإنسانُ الفَطِنُ في اللَّعِبِ كيفَما اتَّفَق، وأن يسلُكَ دربَهُ المرسومَ لهُ في الحياةِ دونَ أن يُعَسّرَه. وهذا بالضبط ما التزَمَت بهِ البطَلَة.

نشَرَت الكاتبة الأمريكيّة الشهيرة: **جوان ديديون** هذه الروايةَ، التي صنَّفَتها مجلّة التايم فيما بعدُ ضِمنَ أفضلِ مئة رواية إنجليزيّة، عام 1970. وحُوِّلَت في عام 1972 إلى فيلم هوليوودي شارَكَت ديديون في كتابةِ نصّهِ السينمائيّ مع زوجِها جون دون. والجديرُ بالذِّكرِ، أنَّ للروايةِ رُواةً عِدّة: (1) ماريا: التي تفتَحُ أمامنا نحنُ القرّاءَ بابَ الرّواية. (2) هيلين: التي تُطلِعُنا على جانِبِها المُثيرِ من القصّة. (3) كارتر: الذي يُطلِعُنا أيضاً على جانِبِهِ من القصّة. (4) الغائِب: وهوَ صوتُ الكاتبةِ ذاتِها –ديديون– ربّما. ومِنهُ نعرِفُ كلّ التفاصيل.

أثارت الروايةُ جدلاً واسِعاً بينَ قُرّائها ونُقّادِها وتفاوتت الآراءُ حولَها. بيدَ أنَّ الجميعَ اتّفقوا على أمرٍ واحِدٍ، وهوَ أنّ الروايةَ صعبة ومُجهِدة (ليست صعبةَ القراءة، بل صعبةَ الاحتمال). وربَّما يُدرِكُ القارئُ ذلكَ أثناءَ قراءتِهِ للروايةِ، وبعدما يُنهيها. إنَّ هذه الروايةَ قد لا تُبهِجُ قارِئَها، ولكنّها -دونَ ريبٍ- ستُحدِثُ فيهِ أثراً وتترُكُ بصمة.

عماد العتيلي

تشرين الثاني 2020

ماريا

قد يتساءلُ بعضُ الناس: «لماذا يُعَدُّ إياغو شريراً؟» ولكنّني لا أتساءلُ أبداً.

كما أجِدُني على مثلِ تلكَ الحال، لمّا أتذكّرُ أنَّ السيدة برستاين واجهَت أفعى صغيرة، صباحَ اليوم، في حديقة الخرشوفِ وظلّ علاجُها حتّى الآن متعسّراً، فلا أتساءلُ عن الأفاعي. لماذا تستوطِنُ أفاعي بُنغاز حدائقَ شاليمار؟ ولماذا يحتاجُ ثُعبانُ المُرجان إلى غدّتينِ مليئتينِ بالسُّمّ كي يعيش، بينما لا يحتاجُ الثّعبانُ الملكُ إلّا إلى غدّةٍ واحدة؟ ما هوَ المنطق الداروينيّ هُنا؟

ربّما يطرحُ بعضُ الناسِ تساؤلات كهذه، بيدَ أنّي لا أطرحُها. ليسَ بعدَ الآن.

أتذكّرُ حادثةً كُتِبَ عنها قبلَ مدّةٍ قصيرة في صحيفةِ هيرالد إكزامينز في لوس أنجلوس: *«عُثِرَ على عروسَينِ، من سكّانِ ديترويت، ميّتَينِ في مخيّمهِما الكشفيّ قُربَ مدينة بوكا راتون. كما عُثِرَ على ثعبانِ مُرجانٍ ملفوف داخِلَ لِحافهِما الحراريّ»*. لماذا؟ ما لم تكُن مستعدّاً للانتظارِ حتّى تتكشّفَ الأسبابُ في المستقبلِ البعيد، فلن تحظى بإجابةٍ آنيّةٍ شافية لمثلِ تلكَ الأسئلة.

ولذلك، أنا على ما أنا عليهِ الآن. فإنّ البحث عن «الأسباب» مُضنٍ ولا معنى له. غيرَ أنَّ تتبُّعَ الأسبابِ هوَ الشغلُ الشاغِلُ للناسِ هُنا، ولذلكَ لا ينفكّونَ عن طرحِ الأسئلةِ عليّ. ماريا، نعم أم لا: أرى أنّ لطخةَ الحِبر هذهِ

على شكلِ ديك، أليسَ كذلك؟. ماريا، نعم أم لا: إنّ عدداً كبيراً من الناس قاموا بعلاقاتٍ جنسيّة غير شرعيّة، أليسَ كذلك؟ عجباً! إنَّ آثامي جسيمة وذنوبي لا تغتفَر، كما أنّ سيرتي في الحُبِّ سيرةٌ خَيبة. فكيفَ لي أن أجيب؟ وكيفَ لإجابتي أن تكونَ يقينيّة؟ **لا شيءَ متّفقٌ عليه**. أكتُبُ هذه الجُملة بقلمِ رصاصٍ ممغنط (IBM). «ما المتّفقُ عليهِ إذاً؟» يسألونني لاحِقاً. وكأنَّ كلمة «لا شيء» غامضةٌ وتحتمِلُ التأويل، أو كأنّها شطرٌ مُلتبِسٌ من قصيدةٍ إيسلانديّة! «ليست في جُعبتي سوى بضع حقائق متّفق عليها» أجبتُهُم مُحاوِلةً الاستمرارَ في اللَّعِب. «هُنالك حقائق محدّدة، وبعضُ الأحداث التي كانت». (قد تسألونني: ولماذا تكترثين؟ أنا أكترثُ فقط من أجلِ كيت. وما أودُّ البقاءَ صامدَةً في هذه اللعبةِ -لُعبة الحياة- إلّا من أجلِها. لقد وضَعَها كارتر هُناك، وأنا سأكافِحُ في سبيل إخراجِها). فإن أنا لم أوضّح لهُم الحقائق، فسيشوّهونَها، وسيبتدعونَ صِلاتٍ وهميّة، وسيستنبطونَ أسباباً لا وجودَ لها. ولكنَّ ذلك، مثلما أخبرتُكُم، هو شُغلُهُم الشاغل هُنا.

وهكذا، طلبوا أن أُعيِّنَ لهُم الحقائق.. وهأنذي أعيّنُها: أنا أُدعى ماريا وايث (ما - ر - يا). بعضُ الناسِ هُنا يُنادونني «السيّدة لانغ»، ولكنّي لا أحبّذُ ذلك. أبلغُ من العُمر واحداً وثلاثينَ عاماً. تزوّجتُ، وطُلِّقت. ولديّ ابنةٌ وحيدة تبلغُ من العُمر أربعة أعوام (لا أُطلِعُ أحداً هُنا على خصوصياتِ كيت. ففي المكانِ الذي تمكُثُ فيهِ حالياً، يوصِلونَ أقطاباً كهربائيّة برأسِها، ويحقنونَها في عمودِها الفقريّ مُحاوِلينَ فهمَ ما دهاها. وفهمُ ما دهاها يُشبِهُ محاولة فهم السبب وراء احتياجِ ثعبان المُرجان لغُدّتي سُمٍّ بدلاً من واحدة. إنَّ كيت مُبتلاةٌ بهشاشةٍ في الجُزء السفليّ من عمودِها الفقري، وباختلالٍ في كيمياءِ الدّماغ. وإنَّ حالتَها لم تتغير حتّى الآن. لا بدَّ أن كارتر نسيَ أنّها تُعاني من الهشاشةِ في أسفلِ عمودِها الفقريّ، وإلّا ما كانَ ليسمَحَ لهُم بحَقنِها في تلكَ المنطقة). ورثتُ ملامحي من أمّي، كما ورِثتُ منها قابليّة إصابتي بالشّقيقة. ومن أبي ورثتُ تفاؤلاً لم يهجُرني إلّا مؤخّراً.

بتفصيلٍ أكبر: وُلدتُ في مدينة رينو، *نيفادا*. ثمّ انتقلتُ بعد ذلكَ بتسعِ سنواتٍ إلى *سيلفر ويلز*، *نيفادا*. وما انتقلنا إلى سيلفر ويلز إلّا لأنَّ والدي

كانَ قد خسِرَ بيتَنا في رينو بسببِ رِهانٍ في لعبة كرابس.. ثمَّ تذكّرَ أنّهُ صاحِبُ أملاكٍ في هذه المدينة، سيلفر ويلز. قالَ إنّهُ كانَ قد ابتاعها، أو فازَ بها، أو ورِثَها عن أبيه.. لستُ متأكّدة ممّا قالَ حقيقةً، وهذا الأمر غيرُ ذي أهميّة على أيةِ حال. كانت لدينا عدّةُ أملاكٍ ما لبِثنا أن ضيّعناها: مزرعة ماشية دونَ ماشية، ومنتجع تزلّج حصَّلناهُ بعدما رهَنَهُ صاحِبه، ونُزُلٌ كانَ سيكونُ أنفَعَ لنا لو أنّ طريقاً رئيسةً شُقّت حِذاءه.

لقد نشأتُ على الإيمان بأنَّ ما يُخبّئهُ لنا القدرُ في قابِلِ الأيام، لا بدّ أن يكونَ أفضَلَ ممّا مضى. بيد أنّي لم أعُد أؤمنُ بذلك. أنا فقط أخبرُكُم عن حياتي التي كانت. كُنّا نملِكُ في سيلفر ويلز ثلاثمائةِ فدّانٍ من النباتاتِ الشائكة، وبعضَ البيوت، ومحطّة وقود فلاينغ آي، ومنجَمَ زينكٍ، وخطّ سكّة حديد تونوباه وتايدواتر، ومتجر حِليّ. كما تملّكنا لاحِقاً (بعدما التَمَعَت في رأسِ أبي وشريكِهِ بيني *أوستن* فِكرة كونِ مدينة سيلفر ويلز مقصداً سياحياً طبيعياً) ملعَبَ جولف صغيراً، ومتحفَ زواحف، ومطعماً فيهِ ألعابُ سلوتس وطاولتا كرابس. لم تُدرّ علينا ألعاب سلوتس ربحاً كثيراً، فقد كانت *باوليت* هي الوحيدة التي تلعبُها بما تبقّى من القطع المعدنيّة في الصندوق. كانت باوليت مديرةَ المطعم، كما كانت (مثلما صرتُ أدركُ الآن) تُراوغُ أبي وتجعلني، في بعضِ الأحيان، أتظاهَرُ بأنّني أحاسبُ الزبائن. أقول «أتظاهر» لأنّهُ لم يكُن هُنالك أيّ زبائن. ما حدَثَ هوَ أنّ حُلمَ الطريق الرئيس الذي سيُشقُّ حِذاءَ النُّزُل لم يتحقّق، فنفِدَ منّا المالُ، ومرضت أمّي، وعادَ بيني أوستن إلى لاس فيغاس. وقبلَ عدّة سنواتٍ التقيتُهُ صدفةً في فندق فلامينغو.

«إنَّ عيبَ أبيكِ الوحيد، هوَ أنّهُ كانَ دوماً متأخّراً عن زمنِهِ عشرينَ عاماً». أخبرني أوستن ليلتَها في الفُندق. «ماذا ترينَ اليوم من أحلامِ أمسِه؟ مدينة الأشباح، وملعب الجولف، ومشروع العوّامات الآلية؟ كانَ يُمكِنُ لِـ *هاري وايث* أن يصيرَ من أصحابِ الثروات الفاحشة اليومَ في سيلفر ويلز».

قُلت: «لا وجودَ لمدينة سيلفر ويلز اليوم».

«آنذاك يا ماريا. أنا أتحدّثُ عن المدينة التي كانت».

ثمّ طلبَ بيني مشروبَي كوبا ليبري لنا، وقد كانَ ذاكَ شراباً لم أعرف قطّ أحداً يطلبُهُ سوى أمّي وأبي وبيني أوستن. أعطيتُهُ بعضَ الرقاقات كي يلعبَ بدلاً منّي، واستأذنتُهُ للذهابِ إلى الحمّام. ولم أعُد. أقنعتُ نفسي بأنّني لم أرغب في أن يعرفَ بيني بصحبةِ مَن كُنتُ ليلتَها. فقد كُنتُ بصحبةِ رجُلٍ فاحِشِ الثراء يلعبُ الباكاراه بأوراقٍ نقديّةٍ من فئة المائة دولار. ولكنّ ذلكَ لم يكُن كلّ ما في الأمر. يُمكنني أن أحدّثكُم بوضوحٍ وصراحة، غيرَ أنّي لستُ متصالحةً مع حياتي التي كانت. أعني أنّ حديثي عنها غيرُ ذي نفع.

مرّةً، جلستُ أنا وبيني أوستِن وأمّي في مطعمِ باوليت الفارغ، نفتّشُ في مجلاتِها بحثاً عن مسابقاتٍ يُمكننا المشاركة فيها (وايكيكي، باريس فرنسا، العطلة الرومانيّة. كانت أمنيات أمي تغمُرُ حياتنا مثل غاز الأعصاب. *أُريدُ أن أقطَعَ المُحيطات على متن طائرةٍ فضيّة*. كانت تدندنُ أمنياتِها وتُصدّقُها. *أريدُ أن أرى الغابةَ وهيَ مبتلّة بماءِ المطر*). ثمّ ذهبنا ثلاثتنا في شاحنةٍ إلى فيغاس، ومنها عُدنا إلى بلدتِنا في صفاءِ الليل – فقطَعنا بذلكَ مئة ميلٍ ذهاباً، ومئة ميلٍ إياباً.. ولم يكُن هُنالكَ في الطريقِ السريعِ غيرنا. كانت هُنالكَ فقط بضع أفاعٍ منبطحاتٍ على الأسفلت الدافئ، وزهرة ياسمين ذاوية في شعرِ أمّي الداكن.. بينما وضعَ أبي زجاجةَ جيم بيم على لوحِ الأرضيّة، وحدّثنا عن مخطّطاته المستقبليّة، وكم كانت مخطّطاته كثيرة! أنا لم أخطّط قطّ لمستقبلي في هذه الحياة. فإنّ الخطط لا تعني شيئاً، ولا تُجدي نفعاً.

نيويورك: ما الجدوى؟ تخرّجتُ، وأنا في الثامنة عشرة من عُمري، من ثانويّة الاتحاد التضامنيّ في تونوباه. ثمّ سافَرت إلى نيويورك لأنخرِطَ في دروسِ التمثيل. لماذا؟ لأنّ أمي ارتأت أنّ التمثيلَ سيُفيدُني. حتّى إنّها كانت تقصّ لي شعري على طريقةِ *مارغريت سالافان*. كما ارتأى أبي أنّني يجبُ ألّا أخشى السفرَ إلى نيويورك، لأنّهُما –في حال نجَحَت خطّتهما من أجلي– سيحصلانِ على تذاكرِ سفرٍ دوريّة من لاس فيغاس إلى نيويورك. ولذلك، لم أجِد بدّاً من السّفر. كانت تلكَ المرّة الأولى والأخيرة التي جلست فيها أمّي في مطارِ فيغاس واحتَسَت كأسَ كوبا ليبري. إنّ كلّ شيءٍ مصيرهُ الفناء. وأنا الآن أجاهِدُ ببسالةٍ كي لا أغرقَ في تأمُّلِ هذه الحقيقة: كلّ شيءٍ مصيرهُ الفناء!

أتأمّلُ طائراً طنّاناً، وأُلقي بِـ*كتابِ التغيراتِ* بعيداً دون أن أشغَلَ بالي بقراءة الطالع، وأُبقي تركيزي وفِكري منصَبَّينِ على اللحظةِ الراهنة فحسب. نيويورك. فلتسمحوا لي بالالتزامِ فقط بسردِ الحقائق دونَ استطراد. ما حدثَ هوَ التالي: كُنتُ هُناكَ على خيرِ ما يُرام (لن أرجُم بالغيبِ فأقول إنّني كُنتُ مباركةً أو ملعونةً، بل سألتزِمُ بتقريرِ الحقيقةِ المُشاهَدة.. التي استقيتُها من كلّ الصور التي التُقِطَت لي آنذاك). فقد التقَطَ لي أحدُهُم صُوراً وقتَها، حينَ كُنتُ أتقاضى 100 دولارٍ في الساعة من وُكلائي، و50 دولاراً من المجلات. وكانَ ذلكَ يُعَدُّ دخلاً ميسوراً في ذلكَ الوقت. كما كانت تربِطُني علاقاتٌ بأشخاصٍ جنوبيّين، ومِثليين، وفتيانٍ أثرياء.. فكُنتُ أمضي بصُحبتِهِم أيامي ولياليّ. وفي الليلةِ التي انقلبَت فيها المركبة بأمّي على الطريق السريع خارجَ تونوباه، كُنتُ أنا بصُحبةِ فتىً ثريّ مخمور في المغرب (وذلكَ حسبما خمّنتُ لاحقاً). ولم أدرِ بما حدثَ إلّا بعدَ مرورِ أسبوعين، وذلكَ لأنّ ذئابَ البريّة كانت قد نهشَت أمّي وقطّعتها إرباً قبلَ أن يتمكّن أحدٌ من العثور عليها، فلَم يجِد أبي في نفسِهِ الشجاعة لإخباري بالأمر. («ياللمسيح! لقد كانت حياتُنا رغيدةً في سيلفر ويلز» قالَها لي بيني أوستن في فندقِ فلامينغو. والآن أفكّر، ربّما كانت حياتُهُم هُناكَ رغيدةً حقّاً، وربّما كانت حياتي هُناكَ رغيدةً أيضاً. من يدري، ربّما لم يجدُر بيَ السّفر. ولكنّ هذه الأفكار لن تُجدي نفعاً الآن، فقد أخبرتُ بيني أنّ سيلفر ويلز لم تعُد موجودة. وأنّ آخرَ ما علِمتُهُ عن باوليت هوَ أنّها الآنَ تقطُنُ في صن سيتي. فتأمّلوا!). وصَلت رسالةُ أبي بالبريدِ إلى عنواني القديم، ثمّ وصَلتني. قرأتُها في مركبةِ أجرةٍ ذاتَ صباح، وقد كنتُ متأخرةً عن أحد الاجتماعات، ولمّا أدركتُ، في منتصفِ الفقرةِ الثانية منها، حقيقةَ أنّ أمّي ماتت، صرَختُ دونَ توقّف، وانقطَعتُ عن العملِ لمدّة شهرٍ بعدها. ما زالت الرسالةُ في حوزتي (في صندوقِ مساحيقِ التجميل خاصّتي)، ولكنّني أتجنّبُ إعادة قراءتها ما لم أكُن ثمِلة –وهوَ أمرٌ شِبهُ مستحيلٍ نظراً لوضعيَ الحاليّ. «ما أسوأَ حظّكِ. ولكنّ الله– إن افترضنا وجودَهُ، وإنّني يا عزيزتي أؤمنُ بوجودِ قوّةٍ ما تُديرُ الكون – لا يُريدُكِ أن تُفسدي خططكِ

ومُستقبلكِ» هكذا يُحاولونَ تخفيفَ وطأة الأمر. «لا تدعي تلكَ النكباتَ تُعيقُكِ، لأنّ بينَ يديكِ الآن كلّ الأوراق الرابحة».

أوراقٌ رابحة سهلة. لستُ أدري في أيّ عامٍ حدثَ ذلكَ، لأنّني -مثلما أخبرتُكُم- غيرُ متصالحةٍ مع حياتي التي كانت، ولكنّني بعد ذلكَ بقليلٍ بدأتُ أنتكِس. (ستقولون: إنّ سببَ ذلكَ أنّكِ لا تؤمنينَ بأنّ آثامَكِ يُمكن أن تُغتَفَر. أوَلم أُخبِركُم: **لا شيءَ متّفقٌ عليه**). بدَت الخُزامى في دربِ بارك وسِخة، وأنا أُرسِلتُ مرّتينِ إلى مونتيغو باي كي أستعيد نضارةَ وجهي، بيدَ أنّي لم أستطِع النومَ وحدي فكُنتُ أبقى مستيقظةً حتّى وقتٍ متأخرٍ، كما كانت علاقتي بِـإيفان كوستيللو متدهورةً، وقد بدا كلّ ذلكَ واضِحاً في صوري التي التُقِطَت وقتَها. لم أعُد إلى نيفادا ذلكَ العام، لأنّهُ كانَ العامَ الذي وبّختُ فيهِ إيفان، وتزوّجتُ كارتر، وفي العامِ التالي أتيتُ بصُحبتِهِ إلى هُنا حيثُ أشرَكَني كارتر في فيلمَين متواضِعَين (ربّما شاهدتُم واحِداً منهُما، فقد قالَ أحدُ الأطباء إنّهُ شاهدهُ.. أو ربّما ادّعى ذلكَ فقط كي يدفعني للكلام. أمّا الفيلم الآخر فلم يُعرض قطّ). والعامُ الذي تلاهُ غائبٌ تماماً عن ذاكرتي، بيدَ أنّي أذكُرُ أنّني بعدَ ذلكَ بدأتُ أزورُ نيفادا كُلّما أتيحت لي الفرصة، ولكن عودتي كانت متأخرة.. لأنَّ أبي كانَ قد مات. وأنا لم أتزوّج بعد ذلكَ أبدًا.

هذه هي كلّ الحقائق. الآن، أنا مستلقيةٌ في الشمس ألعبُ السوليتير وأرهِفُ السمع لحديثِ البحر (البحرُ عندَ الجُرفِ، ولكنّني ممنوعةٌ من السباحة، فالسباحةُ ليست مسموحةً إلّا في الآحاد، عندما يكونُ معنا مرافقون) وأتأملُ طائراً طنّاناً. أحاولُ ألّا أفكّرَ في الموتى والسّباكة. وأحاولُ ألّا أسمعَ صوتَ مبرّد الهواء في حُجرة النومِ تلكَ في إينسينو. وأحاول ألّا أعيشَ في سيلفر ويلز أو نيويورك أو بصُحبةِ كارتر. بل أحاولُ العيشَ في اللحظةِ الراهنة متأمّلةً الطائرَ الطنّان. لا أرى أيّاً من معارفي القُدامى، بيدَ أنّي لا أكادُ أموتُ شوقاً لرؤيةِ كثيرٍ منهُم.

ربّما كانت بينَ يديّ كلّ الأوراق الرابحة، ولكن.. ماذا كانت اللعبة؟

هيلين

التقيتُ بماريا اليوم. أو بالأحرى حاولتُ أن ألتقيَها.. بذلتُ ما في وسعي. غيرَ أنّي لم أحاول كُرمى لِماريا، بل كُرمى لِكارتر، أو بي زي، أو ربّما كُرمى لصداقَتنا القديمة أو ما شابه.. المهمّ أنّي لم أحاول كُرمى لِماريا. «لا أريدُ أن أتحدّثَ معكِ يا هيلين» كان هذا آخر ما قالتهُ لي. «لا أعني صدَّكِ أنتِ تحديداً يا هيلين، ولكنّني لا أريدُ أن أتحدّث إلى أيّ أحد». ولذلك، لم أحاوِل كُرمى لها.

وعلى أيةِ حال، لم أرَها. قطَعتُ الطريقَ كُلّهُ بمركبتي كي أراها، وأمضيتُ النهارَ كُلّهُ في تجهيزِ صندوقٍ من أجلِها: فيهِ كُتب جديدة، ووشاحٌ حريريٌّ كانت قد نسيتهُ عند الشاطئ ذاتَ يوم (فقد كانت مُهمِلةً، على الرغم من أنّها ابتاعَتهُ بثلاثينَ دولاراً. لطالما كانت مُهملة ولامبالية)، وباوندٌ من الكافيار (ليسَ النوعَ المفضّل لديها -بيلوجا- ولكن لا يحقّ لها أن تعترض!)، ورسالةٌ من إيفان كوستيللو، ونبذةٌ كتبَها صحفيٌّ ما عن كارتر في صحيفة نيويورك تايمز (قد تظنّونَ أن ذلكَ قد يُسعِدُها، ولكنَّ ماريا لم تتمنَّ النجاحَ يوماً لِكارتر). وبعدما جهّزتُ لها كلّ ذلك، إذا بِها ترفُضُ لقائي. «السيّدة لانغ تستريحُ الآن» قالت لي الممرضة. أنا لا أمانعُ لقاءها أثناءَ استراحتِها، ولا أمانعُ رؤيتَها وهي مستلقيةٌ عندَ البِركةِ مُرتديةً ثوبَ السباحةِ ذاتهُ الذي كانت ترتديهِ في الصيفِ الذي قتَلَت فيهِ بي زي، بينما هي مُستلقيةٌ عندَ البِركةِ دونَ أن يرفّ لها جَفنٌ كأنّها لا تأبهُ لما يحدثُ في العالم من حولِها. سوفَ تلحظونَ أنّ وزنَها ثابتٌ دائماً ولا يزداد، وتلكَ صفةٌ أصيلةٌ في النساءِ النرجسيّات. لا أعني أنّني أحَمِّلُ ماريا مسؤوليّة المصائب التي حاقَت بي،

على الرغم من أنّني أنا التي عضّتها العذابات، ولذلكَ أنا التي يجبُ أن أكونَ مُستريحة، لا هيَ. أنا التي خسِرَت بي زي جرّاءَ إهمالِ ماريا ولامبالتِها وأنانيّتِها.. ولكنّني أحمّلُها المسؤولية فقط بخصوصِ كارتر. فقد أوشَكَت على قتلِهِ أيضاً. لطالما كانت فتاةً أنانيّة، ولطالما كانَ اهتمامُها منصبّاً على ذاتِها، أوّلاً وأخيراً ودائماً.

كارتر

إليكُم بعضَ المشاهِد التي ما تزالُ واضحةً في مخيّلتي.

«أنا أتناولُ وجبةَ الإفطار دائماً خارجَ البيت» أخبرتُ أحدَهُم. وكانَ ذلكَ في حفلةِ عشاء مع ثلّة من الأصدقاء. ستقولُ ماريا إنّهُم ليسوا أصدقاءها، ولكنّها لم تفهَم قطّ معنى الصّداقة، ولا الحِوار، ولا أدبَ التواصل الاجتماعيّ. لدى ماريا مشكلةٌ حقيقيّةٌ في التواصلِ مع كلّ الذينَ لا تُضاجِعُهم».

«أذهبُ إلى جادة ويلشاير أو بيفرلي هيلز» أخبرتُهُ، «وأقرأ المجلّاتِ المتخصّصة، وأحبُّ كَوني أتناول وجبةَ الإفطارِ وحيداً».

«الحقُّ أنّهُ لا يتناولُ وجبة الإفطار خارجَ البيتِ دائماً» قالت ماريا، بصوتٍ خفيضٍ، لكلّ الحاضرينَ دونَ تحديد. «والحقُّ أنّ آخرَ مرّةٍ تناول فيها وجبة الإفطارِ خارجَ البيتِ كانت في السابع عشر من نيسان».

نظرَ كلّ من كانوا جالسينَ إلى الطاولةِ إليها أوّلاً، ثم أشاحوا بنظرِهِم بعيداً، وكُلّهُم دهشة واضطراب. فقد كانت يداها متصلّبتينِ على طرفِ الطاولة، ما جَعَل تجاوُزَ الأمر صعباً. وحدَهُ بي زي ظلّ مُحدّقاً بها.

«سُحقاً!» قالت، ثمَّ فاضت عيناها بالدموع. وكانت لحظتَها ما تزالُ تنظرُ أمامها مباشرةً، لا إلى شخصٍ محدّد.

مشهدٌ آخر: كانت تلعبُ مع طفلتِنا في البستان، وترشُّ عليها بعضَ قطراتِ الماءِ من خُرطومٍ بلاستيكيّ نظيف. «حذارِ أن تُصابَ الطفلةُ بالبرد»

قُلتُ لها منبِّهاً مِن على الشّرفة. رفعَت ماريا رأسَها إليّ، وألقَت الخرطوم أرضاً، ثمّ نهضَت وسارت، مبتعدةً عن الطفلة، ناحيةَ بركةِ السباحة. ثمّ استدارت، ونظرت إلى الطفلةِ. «أبوكِ يُريدُ أن يُكلِّمَكِ» قالَت.. بنبرةٍ لامبالية.

بعدَ وفاةِ بي زي، صِرتُ أستذكِرُ تلكَ المشاهِد وغيرها مراراً وتكراراً، وأحاوِلُ العثورَ على منطقٍ فيها، أو نمطٍ معيّن. بيدَ أنّي لم أنجح في ذلك. وما يسَعُني الآن إلّا أن أقول: ما أدركتُ استحالةَ التعايُشِ مع ماريا، إلّا بعدَ سلسلةٍ طويلةٍ من المشاهِد الصغيرة كاللتي عرضتُها أمامكُم الآن.

-1-

في أوّلِ خريفٍ حارٍّ، بعدَ الصيفِ الذي هجَرَت فيهِ كارتر (الصيف الذي هجَرَها فيهِ كارتر، ولم يعُد يسكُنُ فيهِ معها في منزلِ بيفرلي هيلز)، قادَت ماريا مركَبَتَها في الطريقِ السريع. وصارت ترتدي ثيابها كلّ صباحٍ وفي نفسِها إحساسٌ بغايتِها في الحياة أكبر ممّا كانَ عليهِ في سابقِ عهدِها. فكانت ترتدي تنّورةً قطنيّة، وقميصَ صوفٍ، وصندلاً تخلعُهُ بسهولةٍ إذا ما أرادت لمسَ دوّاسة البنزين بقَدَمِها. كانت ترتدي ثيابَها على عَجَلٍ، وتُمرّرُ المشطَ بسُرعةٍ في شعرِها مرّةً أو مرّتين ثمَّ تربِطُهُ إلى الخلفِ (كانَ التمهُّلُ يُشعِرُها بخطرٍ داهِمٍ غريب)، فقد كانَ من الضروريّ أن تصِلَ الطريقَ السريعَ في تمامِ الساعةِ العاشرة – لا أن تصِلَ جادّةَ هوليوود أو طريقاً قريباً من الطريق السريع، بل أن تصِلَ الطريق السريع ذاته. فإن لم تصِلهُ في الوقت المحدّد، انهارَ إيقاعُ يومِها كلّه. كانَ ذلكَ نظاماً مفروضاً. فورَ وصولِها إلى الطريقِ السريع، كانت تقودُ في أحدِ مساربِهِ السريعة، وتُديرُ المِذياعَ وترفعُ الصوتَ إلى أقصى درجة. كانت تقودُ من سان دييغو إلى هاربر، ومن هاربر صعوداً إلى هوليوود، ومن هوليوود إلى غولدن ستيت، ومنها إلى سانتا مونيكا، ثم إلى سانتا آنا، وباسادينا، وفينتورا. كانت تقودُ مركبتَها مثلما يقودُ البحّارُ مركِبه.. فيكونُ كلّ يومٍ أكثرَ اعتياداً على موجاتِ البحرِ وأحابيلِه. وكالبحّارِ كانت تُحسُّ، في هدأتِها ما بينَ النومِ واليقظةِ، بالشلالاتِ التي تُحاول اجتذابَها. وهكذا كانت ماريا تقُودُ ليلاً، بسُرعةِ سبعينَ ميلاً في الساعةِ وسطَ سكونِ بيفرلي هيلز، وتتأمّل اللافتات: نورماندي ¼، فيرمونت ¾، محطّة هاربر 1. كانت تعودُ مرّةً تِلو مرةٍ إلى ذلكَ الدّربِ الفسيحِ جنوبَ المفترقِ الذي

يتطلّبُ عبورهُ بنجاحٍ، للوصولِ من هوليوود إلى هاربر، اجتيازَ أربعة مسارب مروريّة مكتظّة. وفي تلكَ الظهيرة، نجَحَت في القيامِ بذلك دونَ أن تستعملَ المكابحَ مرّةً أو تتشتّت عن تذوّقِ الموسيقى الهاربة من المذياع. كم كانت مبتهجة! ليلتها حظِيَت بنومٍ هانئ. وليلتَها، لم تنَم في سريرِها، بل عند بركةِ السباحة، فوقَ أريكةٍ من خيزرانٍ تركَها هُناكَ المستأجِرُ السابق. كان هُنالكَ مقبسُ هاتف أيضاً. التَحَفَت ليلتَها بمناشِفِ البركة. ولأنَّ اضطراباً خامَرَها حيالَ نومِها عند البركة، وأنّ ذلكَ قد يُفهَمُ بأنّهُ إشارةٌ منها إلى أمرٍ مُبهَم (هيَ لم تكُن تدري ما الذي كانَ يُخيفُها، ولكنّهُ لا بدَّ مرتبطٌ بعُلبِ السردينِ الفارغة التي كانت تتركُها في المَجلى، وبقناني نبيذِ فيرمونت التي كانت تُلقيها في سِلالِ المهملات، وبهيئتِها الرثّة التي كانت عصيّةً على الإصلاح)، طمأنَت نفسَها أنّها ستنامُ عند البركةِ فقط حتّى يصيرَ الجوّ بارداً وتصير المناشِف غير قادرة على تدفئتِها، فقط حتّى تنخفِضَ حرارةُ الجوّ قليلاً، فقط حتّى تنطفئ النيرانُ المُضطرمةُ في قمم الجبال.. أنّها تنامُ عند البركةِ فقط لأنَّ الجوّ في حُجرةِ النومِ حارّ، والنسماتُ العليلةُ فيها غائبة، ولأنَّ حفيفَ أشجارِ النخيل عند البِركة كفيلٌ بأن يوقِظَها في الصباحات، بينما لا يوجَدُ أحدٌ معها في البيتِ ليوقِظَها. كما كانت المناشِفُ التي تلتحفُ بها دليلاً على أنّ نومَها عند البركة مؤقّت. وعند البركةِ لا تخشى ألّا تستيقِظَ صباحاً.. وعند البركةِ تنامُ قريرةَ العين. والنومُ في غايةِ الأهميّة -بالنسبةِ لها- لأنّها يجبُ أن تكونَ في الطريقِ السريع كلّ صباحٍ في تمامِ الساعة العاشرة. في بعضِ الأحيان، كانَ الطريقُ السريعُ ينتهي، في فِناءِ خُردةٍ في سان بيدرو، أو على الطريقِ الرئيسِ لِبالمديل، أو في مكانٍ مجهولٍ حيثُ تنتهي المباني الأسمنتية الأنيقة ويتحوّلُ الطريقُ إلى طريقٍ رتيبٍ، تُحيطُ به مبانٍ خراب. لمّا كانَ يحدُثُ ذلك، كانت تستمرّ في القيادة بحذَر، وتشعُرُ للمرّةِ الأولى بثِقَلِ مركبتِها بينما تُركّزُ نظَرَها على الطريقِ الرئيس، وعلى أكوامِ الخُردةِ المُتراكمة، وعلى السّياج، وعلى نباتاتِ الدّفلى السامّة، وعلى اللافتات المُضيئة. وقد كانت هيَ مُستغرقةً في تأمّلِ كلّ تلكَ الأشياء.

ولأنّها لم تكُن تتوقّفُ لشراءِ وجبةٍ تأكلُها، كانت تحتفِظُ ببيضةٍ مسلوقةٍ

على المقعدِ إلى جانبِها. كانت تُقشّرُ وتأكلُ البيضةَ وهيَ تقودُ مركبتها بسرعةِ سبعينَ ميلاً في الساعة (وكانت تكسِرُها على المِقوَدِ وتأكلُها، دونَ أن تكترثَ للملح. فقد كانت تهتمّ بخَيرِ جسمِها أيّما اهتمام)، وتشربُ الكوكا كولا في أيّ محطّة وقود يونيون 76، تابعة لِشركة فلاينغ آي. كانت تقِفُ على الرصيفِ الساخِنِ وتشربُ الكولا مباشرةً من الزجاجةِ، ثم تُرجِعُ الزجاجة فارغة إلى مكانِها (وكانت تحرِصُ دائماً على أن يراها البائعُ وهي تضعُ الزجاجة في مكانِها. فهيَ امرأةٌ مُهتمّةٌ ومسؤولة.. ولا تضعُ عُلبَ السردين الفارغة في مَجلى بيتِها أبداً!)، ثم كانت تمشي إلى زاويةِ المحطّة، وتقِفُ هناك كي تجفّفَ الشمسُ ظهرها المبتلّ. كما كانت، أحياناً، تتحدّثُ مع البائع – فقط كي تسمعَ صوتَها وتطمئنّ إلى وجوده. فتسألهُ عن نصيحتِهِ فيما يخصّ مرشّحات الزيت، وكميّة الهواء التي يجبُ أن تملأ بها دواليبَ مركبتِها، والطريقِ الأمثل إلى جادة فوتهيل في كوفينا الغربيّة. ثمَّ كانت تُحكِمُ ربطَ شعرِها، وتغسِلُ نظّارتَها الدّاكنة في النافورة، وتتجهّزُ لاستئنافِ القيادة.

في أوّلِ خريفٍ حارٍّ، بعدَ الصيفِ الذي هجَرَت فيهِ كارتر، الصيف الذي هجَرَها فيهِ كارتر، والذي لم يعُد يسكُنُ فيهِ معها في منزلِ بيفرلي هيلز، وقد كانَ فصلاً رديئاً، أضافت ماريا إلى عدّادِ مركبتِها 7,000 ميلٍ. في بعضِ المساءات، كانَ ينتابُها الفزغ، فيغسِلُها بالعرق، ويُغرِقُ عقلها بصُورٍ شديدةِ الوضوحِ لِـليس غودوين في نيويورك، ولِـكارتر في الصحراءِ بصُحبةِ بي زي وهيلين، ولِكُلّ الأحداث الرهيبةِ والأكيدةِ التي وقَعَت. الحقُّ أنّ تلكَ الصورَ لا تُزعِجُ بالها أبداً عندما تكونُ في الطريقِ السريع.

-2-

كانَ الفيلمُ الثاني الذي أتَمّتهُ مع كارتر يُدعى *شاطئ أنجل*، وفيهِ أدّت دورَ فتاةٍ اغتَصبَها أفرادُ عصابةِ دراجات ناريّة. قامَ كارتر بإتمامِ الفيلم بكُلفةٍ لم تتجاوز 340,000 دولارٍ، فعرَضَتهُ شركةُ الإنتاجِ في كلّ دورِ السينما، وبحلولِ نهايةِ العامِ الأوّل مِن عرضِهِ تاخَمَت أرباحُهُ المحليّة والعالميّة حدود الثمانية ملايين دولار. شاهَدتهُ ماريا مرّتين: مرّةً في العرض الافتتاحي للشركة المُنتِجة، وأخرى وَحدَها في دارِ عرضٍ في كولفار سيتي، وفي المرّتينِ لم تتمكّن من استيعابِ أنّها هيَ ذاتها الفتاة المُغتصبة في الفيلم. «أنظُرُ إليكَ وأُدرِكُ أنَّ ما حدَثَ... لا يعني شيئاً على الإطلاق» تقولُ الفتاةُ في الفيلم، وتُتبعُ قائلةً: «إنَّ الحياةَ ليست مجرّدَ مكانٍ للاستمتاع، بِتّ أدرِكُ ذلكَ الآن. إن المُتَعَ لا تعني شيئاً». كانَ المشهدُ الختامي، في نسخةِ كارتر من الفيلم، يُركّزُ الكاميرا على عصابة الدراجات النارية، وكأنّهُم يُمثّلونَ واقِعاً غيرَ مُدرَكٍ بَعد من قِبَلِ الفتاة التي لعِبَت ماريا دورَها. بيدَ أنَّ المشهدَ الخِتامي، في النسخة التي عرضَتها شركة الإنتاج، ركّزَ الكاميرا على ماريا وهيَ تذرعُ الحرمَ الجامعيّ جيئةً وذهاباً. وقد فضّلَت ماريا نسخةَ الشركة. والحقُّ أنّها استمتعت كثيراً بمُشاهدةِ الفيلم: فقد بدَت فتاةُ الفيلم ممسكةً حقّاً بزمامِ قَدَرِها.

أمّا الفيلمُ الآخر، الفيلمُ الأوّل الذي لم يُعرض قطّ، فقد كانَ يُدعى «ماريا». وما فعَلَ كارتر إلّا أن صوَّر ماريا وهي تتجوّلُ في نيويورك، ثمَّ جمَعَ كلّ المشاهد وحوّلها إلى فيلم. ولكنّها لم تُدرِكْ نيّةَ كارتر الحقيقيّة إلّا بعد عودتِهِما إلى كاليفورنيا وشروعِ كارتر بتجميع المشاهد. كانَ الفيلمُ يعرضُ

ماريا وهيَ تؤدّي عدّة نشاطات: ماريا في جلسةٍ استعراضيّة، ماريا وهي نائمةٌ على أريكةٍ في إحدى الحفلات، ماريا وهي تُجادِلُ قسم المحاسبة عبرَ الهاتِفِ في بلومينغديل، ماريا وهي تنظّفُ الماريجوانا بمصفاة الطّبخ، ماريا وهي تبكي. وفي المشهدِ الختاميّ وُضِعَت صورتُها بالأبيضِ والأسود وبَدَت كالأموات. كانت مدّة الفيلم أربعاً وسبعين دقيقة، وقد حازَ على جائزةٍ في مهرجانٍ أقيمَ في أوروبا الشرقية. كانت ماريا تكرهُ مشاهدته. وذات مرّةٍ علِمَت أنَّ الطلابَ في جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس وجامعة كاليفورنيا الجنوبيّة رأوا أنّها استُغِلَّت في ذلكَ الفيلم مثلما تُستغلُّ الممثلاتُ الشهيراتُ من قِبَل مُخرِجي الإعلانات. ولكنّها لم تُجابههُم قطّ (كانوا أحياناً يأتونَ للقاءِ كارتر أمامَ المسارِحِ ومتاجِرِ الكُتُب ويُعرّفونَ عن أنفسِهِم، وكانَ كارتر يُعرّفُهُم على ماريا، فكانوا يحدجونَها بنظراتٍ غريبة بينما يتحدّثونَ إلى كارتر طالبينَ منهُ أن يُشرّفَهُم بالاطلاعِ على جدولِ أفلامِهِم. لم تكُن ماريا تخوضُ في الحديثِ معهم، وكانت تتحاشى نظراتِهِم) وكانت تشعُرُ بامتعاضٍ شديدٍ لِكَونِهِم شاهدوها في ذلكَ الفيلم. هي لم تُشِر إليه قطّ باسمِهِ «ماريا»، بل بكونِهِ الفيلم الأوّل لهُما. ذاتَ ليلةٍ، اصطحَبَها كارتر إلى منزِلِ بي زي وهيلين حيثُ كانَ بي زي يودُّ مشاهدة الفيلم.. وبعدَ عرضِ أسماء المشاركينَ في العمَل في أوّلِهِ، لم تتمالك ماريا نفسَها، فنهَضَت وغادرت المنزلَ بغتة لتَجلِسَ عند الشاطئِ وتدخّنَ سجائرَها. وهكذا بقِيَت تُصارِعُ الغثيانَ طوال مدّة الفيلم.

«لماذا لا ينفكُّ يُشاهِدُ الفيلمَ مراراً وتكراراً؟» قالت لِكارتر لاحقاً.

«ولماذا سمحت لهُ باقتناءِ نسخةٍ منه في بيتِه؟»

«إنّهُ مالِكُ الفيلم يا ماريا. هوَ يملكُ كلّ نسخِه»

«لستُ أعني ذلك. سألتُكَ لماذا لا ينفكُّ يشاهُدُه مراراً وتكراراً؟»

«هوَ كانَ يُريدُ لِهيلين أن تُشاهده»

«سبَقَ أن شاهدتهُ هيلين عدة مرات. الفيلمُ لم يُعجِب هيلين. هي أخبرتني بذلك»

«أنتِ لا تفهمينَ شيئاً» قالَ لها كارتر أخيراً، وذهبَ كلاهُما إلى الفراشِ دونَ أن ينبسَ أحدُهُما بكلمة. لم تكُن ماريا راغبةً في فهمِ سببِ مُشاهدة بي زي للفيلم عدّة مرات، أو لماذا يُريدُ من هيلين أن تُشاهده. كُلّ ما في الأمر أنّها كانت ترى أنَّ تلكَ الفتاةَ في الفيلم لا تُفلِحُ في إمساكِ زِمام أيّ شيء!

-3-

«ماريا وايِث» أعادَت ذِكرَ اسمها لموظّفِ استقبالِ مكتَب فريدي شايكين. كانت حُجرةُ الاستقبالِ مملوءةً بنباتاتٍ صناعيّة موضوعة في تُحفٍ صينيّة، وكانَ لدى ماريا يقينٌ راسِخٌ بأنّ تلكَ النباتات تسرِقُ كلّ الأكسجين في الحُجرةِ وتمنعُها من التنفُّسِ كما يجب. ما كانَ يجبُ عليها أن تأتي إلى هذا المكانِ دونَ موعِدٍ مسبَق. الأشخاص الواقعونَ في المشاكل هُم فقط من يأتونَ لرؤيةِ وُكلائهم دونَ موعد مسبق. وإن ظنَّ فريدي شايكين أنّها واقعةٌ في مشكلة، فسيتجنّبُ لقاءها، وذلكَ لأنَّ سِمَةَ أهل هذه المدينة هيَ تجنّبُ المشاكل قدرَ الإمكان. فقد كانوا يعتبرونَ الفشلَ والمرضَ والخوف آفاتًا مُعديةً وضارّة.. حتّى بالنباتاتِ الصّناعيّة. ولذلك بدا لِماريا أنَّ الجميعَ، ومن بينِهِم موظّف الاستقبال، يتحاشونَ النظرَ في عينيها خشيةَ العدوى. «إنّهُ ينتظرُ وصولي» قالت ماريا هامسةً.

«ماريا وايِث» قالَ موظّف الاستقبال، «السيّد شايكين حالياً في غُرفةِ العَرض، هل تودّين انتظاره؟ أم تُفضّلين أن يُهاتِفَكِ؟»

«لا. أعني نعم. ولكن أخبرهُ أنّهُ يجبُ أن يُهاتفني اليوم، وإلّا...»

وجَمَ موظّف الاستقبال.

«وإلّا سأهاتِفُهُ أنا غداً» قالت ماريا أخيراً.

التَقَت في المصعَدِ بممثّل تعرِفُه ولم تلتقِ بهِ من قبل، وقد كانَ بطَلَ مسلسلٍ ويسترن مُلغىً. كانَ في المصعَد برفقةِ وكيلٍ قصيرِ القامة يَرتدي حُلّةً سوداء ضيّقة. ابتسمَ الوكيلُ لِماريا بعدما أُقفِلَ بابُ المصعد.

«إنَّ المشاهِدَ الخامّ في أفلامِ كارتر باهِرة» قالَ الوكيل.

ابتسَمَت ماريا وأومأت برأسِها. لم يتطلّب تعليقُهُ تعقيباً منها: فقد كانَ مِثلَ إشارة البَدء التي يُعطيها المُخرج للممثّل. «إنَّ محفظتَكِ مفتوحة» قالَ متشدّقاً، وحدَجَ ماريا بنظرةٍ لا تخلو من إعجابٍ جنسيّ، غيرَ أنّهُ لم يكُن مُعجباً بِماريا، بل بزوجةِ كارتر لانغ. اتّكأت ماريا على جدارِ المصعد، وأغمَضَت عينيها. لو أنّها أخبرَت ليس غودوين عن هويّة الممثل الذي كانَ في المصعَدِ يومَها، لانفجَرَ ضاحِكاً. ولمّا وصلت منزلها، فكّرت في مهاتفتِه. ولكنّها، عوضاً عن ذلك، صعدت إلى الطابق العلويّ وانبطحَت على سريرِ كيت الفارغ، والتحَفَت بغِطاءِ كيت، وألصَقَت وسادةَ كيت ببطنِها، وصارَعَت موجةً عاتيةً من الفزعِ والارتياع. بدا أنّ زمَنَ السَّمَرِ مع ليس غودوين وإخبارِهِ بالقصص المرِحَة قد انقضى.

-4-

كانت جالسةً على أريكتِها الخيزرانيّة في غسَقِ يومٍ حارٍّ من أيّامِ تشرين الأوّل، تُشاهِدُ بي زي وهوَ يلتقِطُ مُكعّباتِ الثلجِ من مشروبِهِ ويُلقي بها – واحداً تِلوَ الآخر– في بركةِ السباحة. كانوا قد تحدّثوا عن الأسبوع الذي أمضتهُ هيلين في لا كوستا، وعن تلكَ الممثلة التي أُدخِلَت إلى مشفى جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس العصبيّ جرّاءَ قطعِها لشرايين معصَمِها (أوراقُ المشفى كانت تدّعي أنّها أُدخِلَت بسبب إعياءٍ طفيفٍ أصابَها، ولكنّ بي زي كان يعلم حقيقةَ الأمر، وخبيراً بشؤونِ الناس، ولذلكَ هاتَفَته)، والآن حانت الساعةُ التي تتعطّرُ فيها كُلّ جميلاتِ الحيّ في بيوتِهِنَّ، ويلبَسنَ أساورَهنّ المصقولة، ويَطبعنَ على وجناتِ أطفالِهنّ اللُّطفاء قُبلة ما قبل النوم.. كانت تلكَ ساعة البَرَكَةِ والموسيقى المُنتَظَرة، وحتّى هُنا في حديقةِ ماريا كانَ الهواءُ عابقاً بضَوعِ الياسمين، كما كانت حرارةُ الماءِ في البركةِ معتدلة. لطالما كان ماءُ البركةِ نظيفاً وحرارتُهُ معتدلة. فقد كان الاعتناءُ بهِ ضِمن شروط عقد الإيجار. فسواءٌ كانَ كارتر قادراً على دفعِ أجرةِ البيتِ أم لا، وسواءٌ مرَّ عليهِ شهرٌ قليلُ الأرباحِ (مثل ذلكَ الشهرِ) أو شهرٌ يوشِكُ فيهِ على الإفلاس، كانَ فتى التنظيفِ يأتي مرّتينِ أسبوعياً ليعتني بنظافةِ البركةِ، كما كانَ البُستانيّ يأتي أربعَ مرّاتٍ في الأسبوعِ كي يعتني بالأزهارِ وماءِ البركة. كانت ماريا تفكّرُ، أحياناً، في احتماليّة أن يكونَ أطفالُ جميلاتِ الحي قد أتوا بذاتِ الطريقة (نتيجة اعتناء شخصٍ آخر)، وأن تكونَ أساورهُنّ المصقولة تحافظُ على بهائِها بذات الطريقةِ أيضاً. بيدَ أنّها كانت تطرُدُ تلكَ الأفكار من بالِها فوراً.

«أخبِرني عمّن قابلتَهُم» قالت. بيدَ أنّها لم تكُن تودُّ معرفةَ هويّات الذينَ

قابلَهُم بي زي، بل هيَ فقط لم تكُن تُريدُهُ أن يُغادِر. لم يكُن بي زي قد أتى على ذِكرِ كارتر بعد. كانَ بي زي مُنتِجَ الفيلم، وكانَ قد عادَ من موقِعِ التصويرِ قبلَ يومين وسيعودُ إليهِ غداً، ورغمَ ذلكَ لم يأتِ بعدُ على ذِكرِ كارتر.

«أخبِرني عن رقصة ويلارد».

«أضواءٌ ساطعة في باسيدينا» قالَ ذلكَ ونهَض. «في مثلِ تلكَ الليالي، يلومُ المرءُ نفسهُ لِكَونِهِ ليسَ يهودياً».

«لا تُغادر».

«لقد تأخّرت. لديّ موعِدٌ مهمٌّ»

«مع من؟» قالت، دونَ أن تنظُرَ إليه.

«لا أحدَ مميزاً. سألتقي بِتومي لو. تعرفينَه. لقد أتى من نيويورك».

«لا أعنيك» قالت متعجّبةً دونَ أن تُبدي اهتماماً بكَونِ تومي مِثليّاً. «أنت تعرِفُ أنّي لا أعنيكَ أنت».

«لا أدري عمّ تتحدّثين» قالَ، ثمّ وضعَ كأسهُ على الطاولة، ونظَرَ إلى ماريا مطوّلاً. «دعيهِ يُنهي عمَلَه».

«من؟» قالت، وتعجّبَت من نبرتِها المُلِحّة.

«أنصِتي يا ماريا، لستُ أدري ما إذا كُنتِ على علم بذلكَ أم لا، ولكنّهُ كانَ يرغبُ بوجودِكِ في الفيلم بشدّة. حتّى إنّهُ كادَ يُفسِدُ الصفقة كلّها، مُعرّضاً المشروعَ بأكملِهِ للخطر.. فقط لأنّهُ أرادَ وجودَكِ فيه».

«أعرِفُ ذلك».

«إذاً توقّفي عن التفكيرِ في أنَّ كارتر إنّما يقصِدُ إضعافَكِ في كلّ خطوةٍ يتّخِذُها. يجبُ أن تتوقّفي عن التفكيرِ مثلَ كارلوتا».

«أنتَ لا تملِكُ أدنى فكرة عن الطريقةِ التي أفكّرُ فيها». كانت كارلوتا والدةَ بي زي. كانت لديها ثروةٌ تُقدّرُ بِخمسةٍ وثلاثينَ مليون دولار، وكانت في شقاقٍ ونِزاعٍ دائمٍ مع زوجِها الثاني. كانت ماريا جالسةً على حافّة البركةِ تغمُرُ قدمَيها بالماءِ الصافي. «أنصِت إلى صوتِ الموسيقى الآتي من منزل آل كوليك. عندهُم احتفال».

«هل تودّين الذهاب؟»

«بالطّبعِ لا. إنّهُ رجُلُ عِصابات»

«سألتُكِ فقط ما إذا كُنتِ تودّينِ الذهابَ إلى الاحتفال يا ماريا، ولم أسألكِ أن ترميهِ بالتّهَم» قال بي زي، ثمّ صمَت هُنَيهة. «وللعِلم، هوَ ليسَ رجُلَ عصابات، بل مُحامٍ».

«يُدافِعُ عن رجالِ العصابات».

هزّ بي زي كتِفَيهِ استهجاناً. «أنا أراهُ ملِكاً فيلسوفاً. وقد أخبرني مرّةً أنّهُ يُدرِكُ معنى الحياة، إذ أُلهِمَ ذلكَ في اللحظةِ التي كادَ يُفارقُ فيها الحياةَ على طاولةٍ في سيدارز».

«لن يُفارقَ لاري كوليك الحياةَ في سيدارز. لاري كوليك سيُفارقُ الحياةَ وهوَ جالسٌ على كُرسيّ الحلاقة!»

«يا لهُ من عملٍ عسيرٍ إضحاكُكِ يا ماريا! على أيةِ حال، إنَّ لاري كوليك أحدُ أكبرِ معجَبيكِ. هل تعلمينَ ماذا قالَ لِكارتر؟ قال: ما يُعجِبُني في زوجتِكَ يا كارتر، هوَ أنّها ليست عاهرة!»

لم تنبِس ماريا بكلمة.

«كانَ ذلكَ مُضحِكاً، يا ماريا، ما قالهُ لِكارتر! تُراكِ فقدتِ حسَّ الفُكاهة؟»

«بل كُنتُ على علمٍ بما قالهُ لكارتر. ناولني كأسَك».

«أخبرتُكِ، لديّ موعدٌ مع تومي لو. تأخّرتُ عليه».

«مَن؟» سألَت مجدداً.

«إنّهُ متأخرٌ عن موعِدِ إتمامِ الفيلم أسبوعَين يا ماريا. دعيهِ فقط يُتمّ العَمَل». نهَضَ بي زي، ومرّرَ أصابعهُ برفقٍ على ظهرِ ماريا العاري. «هل رأيتِ ليس غودوين؟» قالَ أخيراً.

ظلّت ماريا تتأمّلُ ورقةً طافيةً على سطحِ ماءِ البركةِ، دونَ أن تُحاولَ إبعادَ أصابع بي زي عن ظهرِها. «ليس وفيليسيا في نيويورك حالياً» قالت بحذر، ثمَّ التقَطَت منشفَة. «لقد تأخّرتَ عن موعدكَ مع تومي لو. أليسَ كذلك؟»

لاحقاً في نفس الأسبوع، قرأت خبراً في إحدى الصُّحُف أنَّ بي زي حضَرَ حفلاً لآل كوليك بصُحبةِ تومي لو وممثّلة ناشئة لم تعرِفها. ولم تدرِ لمَ أزعَجَها الخَبَر، ولكنّهُ أزعجَها فقط. وتساءلت عمّا إذا كان تومي لو قد ذهب وتلكَ الممثلة الناشئة إلى بيتِ بي زي لاحقاً ليلتها أم لا، وما إذا كان أحدٌ قد راقَبَهُم أم لا، وما إذا كانت هيلين قد عادت من لا كوستا أم لا.

-5-

«أودُّ فقط أن تعلمي أنّي أفكّرُ فيكِ» قالَ لها فريدي شايكين في مكالمةٍ هاتفيّة. «والحقُّ أنّي فوجئتُ حينَ علِمتُ بأنّكِ لا تريدينَ العمَلَ في أيّ فيلمٍ آخر. فبعدَ تلكَ النكبةِ مع مارك روس، ظننتُ أنَّ...»

«لطالما رغِبتُ في العمل» قالت ماريا مُحاولةً الحفاظَ على صوتِها ثابتَ النبرة. لا بدّ أن فريدي كانَ ساعتَها جالساً في مكتبِهِ المُحتوي على كراسي برشلونة ومنحوتة جياكوميتي، وكانَ على ماريا الاستماع إلى كلّ ما يودُّ البوحَ به.

«... أنَّ أيّ ممثلةٍ تُغادِرُ موقع التصوير، ستدفعُ الناسَ لافتراضِ أنّها لن تعودَ إلى العمل مجدداً».

«كانَ ذلكَ قبلَ عامٍ تقريباً. وقد كُنتُ مريضة. فقد كُنتُ مهمومةً ومشغولةَ البالِ بسببِ كيت. ولم أغادر بعدها أيّ موقع تصويرٍ آخر، أنت تعرفُ ذلك يا فريدي»

«لم تشتركي في أيّ فيلمٍ حتّى تُغادري موقعَ تصويره!»

أغمَضَت ماريا عينيها. «ماذا تفعلُ الآن يا فريدي؟» سألتهُ أخيراً. «جالسٌ تلهو ببيضةِ فِصحِ فابرجي، أم ماذا؟»

«هدّئي من رَوعِكِ. الحقُّ أنّي حدّثتُ مورتي لانداو عنكِ اليومَ على طاولةِ الغداء. قُلت له: يا مورتي، هل تعرِفُ ماريا وايِث؟ فقالَ نعم...»

«بالتأكيد يعرفُني. فقد مثّلتُ دورَ البطلةِ في فيلمَينِ»

«صحيح يا ماريا، قد فعَلتِ. أنتِ تعرفينَ ذلك. وأنا أعرفُ ذلك. وقد

كانَ الفيلمانِ جميلَين. وقد أثراهُما كارتر وجَعَلهُما أكثرَ جمالاً، على الرغم من أنّ أحدهُما لم يُعرض قطّ. إنَّ كارتر الآن في موقعٍ يُحسَدُ عليه، ولذلكَ هوَ عازِمٌ على استغلالِ الفُرصة. وأنا كلّي فخرٌ بأنّني أمثّلُه. كُلّي فخرٌ بأنّني أمثّلُكُما كليكُما يا ماريا. ولذلك، أريدُ أن أتّفقَ مع مورتي لانداو كي نرتّبَ لكِ فيلماً، امنحيني موافقتَكِ فقط إن كُنتِ حقاً ترغبينَ في العودةِ إلى العمل»

«ترتّبان لي فيلماً؟»

«وما المشكلةُ في ذلكَ يا ماريا؟ هل هُنالكَ تهلكةٌ في أن نرتّبَ لكِ فيلماً؟»

«مورتي لانداو لا يُنتِجُ سوى مسلسلاتٍ تلفزيونيّة»

«اسمحي لي أن أصارحَكِ يا ماريا، لو أنَّ كارتر كانَ موجوداً لكان شجّعكِ على الأمر نفسه. أنت بحاجةٍ إلى العمل، وأنا سأرتّبُ مع مورتي لانداو فيلماً لكِ».

«إنَّ كارتر موجودٌ فعلاً».

حلّ صمتٌ. ولمّا تكلّمَ فريدي شايكين مجدّداً كانَ صوتُهُ رقيقاً. «كلّ ما عَنَيتُهُ يا ماريا أنْ لو كانَ كارتر حاضراً في موقعِ التصوير. هذا كلّ ما عنَيتُه».

-6-

في العاشرِ من تشرين الأوّل، في الساعةِ الرابعة والرّبع عصراً، حينَ كانت الريحُ حارّةً وجافّةً، وجَدَت ماريا نفسَها قد وصَلَت إلى مدينة بيكر. هيَ لم تنوِ الابتعادَ إلى هذا الحدّ. فقد بدأت يومَها مثلَ كلّ يومٍ، قاصِدَةً الطريقَ السريع. بيدَ أنّها قادَت مركبتها إلى سان بيرناردينو ومنها صعوداً إلى بارستو، وبدلاً من أن تعودَ من بارستو (سبَقَ لها أن ابتعَدَت إلى ذلكَ الحدّ، ولكنّها لم تصِل إلى ذلكَ المكانِ قطّ في مثلِ هذا الوقتِ المتأخر، فقد فوّتت الوقتَ المحدّد للعودة، وبذلكَ صارت بعيدةً ومتأخرة.. ففسدَ إيقاعُ يومِها كلّه) استمرّت بالقيادة. وعندما انعطَفَت عائدةً عند مدينةِ بيكر، كان الجوّ حاراً، والتَقَطَ مذياعُها تردّدَ إذاعةِ فيغاس.. وكانت تبعُدُ أقلّ من ستينَ ميلاً عن موقِعِ تصويرِ فيلم كارتر. قد يكونُ مُستريحاً في النّزُلِ الآن. قد يكونونَ أتمّوا وجبةَ التصويرِ لهذا اليوم، وهوَ الآنَ جالسٌ يحتسي الشرابَ برفقةِ بي زي وهيلين ويُفكّرُ في تناولِ وجبة العشاء في فيغاس، أو يفكّرُ في الاستلقاء.. الاستلقاء على سريرِهِ الفوضويّ عاريَ الصّدر. فقد كانت المرأةُ المسؤولةُ عن النُّزُل لا ترتّبُ الأسرّةَ إلّا مرّةً كلّ أسبوع - سبَقَ أن سخِرَ كارتر من عادتِها تلكَ في إحدى مقابلاتِه، وكانت ماريا قد قرأتها في إحدى الصُّحف المتخصصة. كانَ يُمكنها أن تُهاتِفه. «أنصِت إليّ..» قد تقولُ لهُ. «أنا الآن في مدينة بيكر. أتيتُ إلى هُنا صدفةً».

«أتيتِ إلى هُنا صدفةً أليسَ كذلك؟» قد يُجيبُها. «تعالي إليّ».

أو قد يقول: «اسمعي، تعالي إليّ حالاً».

قد يقولُ أيّاً من ذينكَ الردّين، ولكنْ لأنّها لم تكُن موقنةً من أنّهُ قد يقولُ

أيّاً منهما، ولم تكُن موقنةً من أنّها ستودُّ سماعَهُما، اكتَفَت بالجلوسِ خلفَ محطّة وقود 76 في مدينة بيكر متأمّلةً صندوقَ الهاتِفِ المنصوب عند آلة الكولا. أيّاً كانَ الكلامُ الذي قد يفتتحُ بهِ ردّهُ، فستكونُ خاتمةُ المُكالمةِ صمتاً مُطبقاً. سوفَ يقولُ شيئاً، وهي سوفَ تقولُ شيئاً، ثمَّ من دونِ أن يُدركا سيخوضانِ في حديثٍ رتيبٍ يستنزِفُ المخيّلة ويكبَحُ الإرادة، ويدفعُهُما لإلقاءِ كلماتٍ وجُمَلٍ تنتهي بِهِما إلى ذاتِ الختامِ البارِد: «يا إلهي!» سيقول. «لقد ملأتِني بأحاسيسَ إيجابيّة اليوم، إيجابيّة للغاية منذ زمن. لقد أصلحتِ من أسلوبِكِ، وأسعَدتِني»

«ماذا تعني بأنّني أصلحتُ من أسلوبي؟»

«أنتِ تعرفين ما أعني».

«كلا.. لا أعرف!»

كانت ستنتظرُ إجابتَهُ، بيدَ أنّهُ سيلوذُ بالصمت، وسيضعُ رأسهُ بينَ يديه. وهيَ ستشعُرُ بالذنب والندم، ثمّ سيغمُرُها الغضبُ وتعتريها قلّة الحيلة. «أنصِت إليّ» ستقول، بصوتٍ يُشبِهُ الصّراخ، مُحاولةً أن تُمسِكَهُ من تلابيبِهِ وتهزّهُ كي يخرُجَ من وضعيّةِ جلوسِهِ التي لا تراها، وهوَ سوفَ يُبعِدُها عنه، يعلو مُحيّاهُ انقباضٌ، فيُكشّرُ عن أسنانه، ويتصوّرُها مشلولةً تماماً. «لِمَ لا تبوحينَ بما يعتمِلُ في صدرِكِ وتُريحيني!» سيقول، مُلصِقاً وجههُ بوجهِها – بينما يعلو مُحيّاهُ تعبيرُ الانقباض. «لِمَ لا تُهرعينَ إلى ذلكَ الحمّام وتتناولي كلّ حبّةِ دواءٍ فيه! لِمَ لا تموتين وتُريحيني!»

بعد ذلكَ، سيُغادرُ البيت قليلاً، مُخرّباً كلّ ما يراهُ في طريقِهِ، ومُشرّعاً الأبوابَ المُغلقةَ أمامهُ رفساً، ومُهشّماً كلّ المرايا بالقناني الزجاجية، ومُحطّماً كلّ الكراسي أمامه. كانَ كُلّما يعودُ بعدَ ثورةِ غضبٍ ينامُ في حُجرةِ نومِهِما، مُغلقاً البابَ في وجهِها. فتضطرُّ هيَ، وكُلّها ألمٌ، إلى النومِ في حُجرةٍ أخرى، متضرّعةً إلى الله أن يُزيحَ عنهُ غضبَه. كانَ كُلٌّ منهما يرى في الآخرِ قاتِلاً في بعضِ الأحيان، ومُدمّراً للحياة. لم تدرِ ما أتى بها إلى مدينة بيكر. وعلى أيةِ حال، فكيفما ابتدأ الحديثُ بينهما، كانَ سينتهي على شاكلةٍ واحِدة:

«أنصِت إليّ» ستقول.

«لا تلمسيني» سيقول.

حدّقت ماريا في صندوق الهاتف مطوّلاً، ثمّ خرجَت من مركبتِها وشربَت زجاجةَ كولا دافئة، ومعها ابتلعَت قرصي فيورينال لوجعِ الرأس، ثمَّ رفعت عينيها إلى الشمسِ وأغمَضَتهُما آملةً في أن تُؤتي الأقراصُ أُكُلها وتمحو من رأسِها صورةَ كارتر وما قد يقوله. وفي طريقِ عودتِها إلى المدينة، كانَت الطرقُ مزدحمة والريحُ مُحمّلَةً بالتراب والمذياعُ مُستفزّاً. وبعد ذلكَ اليوم، لم تعُد ماريا تقصِدُ الطريقَ السريع إلّا إذا كانَ دربَ عبورٍ عليها أن تسلُكَهُ ليوصِلَها إلى مكانٍ آخر.

-7-

«هذا أنا يا ماريا» قال الصوتُ الآتي من سمّاعة الهاتف. «بي زي».

حاولت ماريا حَلَّ سِلكِ السمّاعة والإفاقةَ من نومِها. كانَ النومُ في الظهيرةِ فألَ شؤمٍ بالنسبةِ لها. وهي كانت تُحاولُ أن تتجاهَلَ كلّ علاماتِ الفأل السيئ في حياتِها، بيدَ أنّها لم تنجح في التغاضي عن هذا الفأل تحديداً. فاعتراها خوفٌ عظيمٌ انقبَضَت لهُ عضلاتُ معِدَتِها. «أينَ أنت؟» قالت أخيراً.

«عند الشاطئ».

تحسّسَت ماريا حافّة البِركةِ باحثةً عن نظّارتِها.

«هل أنتِ مُنتشيةٌ يا ماريا، أم ماذا؟»

«خِلتُكَ في الصحراء»

«نحنُ حالياً في استراحةٍ لمدّةِ أسبوع. ألا تقرئينَ المجلات؟ لقد التهَمَت النيرانُ المكان»

«أيُّ نيران؟»

«لطالما كُنتِ أوَّلَ من يعلم!» قال بي زي. «لقد التَهَمت النيرانُ موقع التصوير، وعلينا أن نُعيدَ بناءه. سوف يأتي كارتر غداً. وأنا سوفَ أصحَبُكِ إلى أنيتا غارسون الليلة ما لم تكوني مشغولة. فما رأيكِ؟»

«أين هيلين؟»

«هيلين في السرير. مُكتئبة. فقد أتتها عدّة حيضاتٍ غزيرة» صمَتَ هُنيهةً. «آتيكِ في تمام الساعة السابعة والنصف؟»

«لست أدري بخصوصِ أنيتا غارسون، أنا لا...»

«طبعاً طبعاً، وقد قُلتُ لكِ سأصحبُكِ ما لم تكوني مشغولة» ارتَفَع صوتُهُ بغتةً. «ما لم يكُن لديكِ موعِدٌ حميمٌ في فندق مارمونت، أو أينما يُقيم حالياً»

لم تنبِس ماريا بكلمة.

«أنتِ مُضحكةٌ هذهِ الظهيرة يا ماريا، كم أنا سعيدٌ لأنّني هاتفتُكِ. كلّ ما عَنَيتُهُ أنَّ صداقةً تجمعُكِ بِـليس غودوين. صداقة مُحترمة. ولم أعنِ أيّ تلميحاتٍ فاحشة. اعذريني». صمَتَ هُنيهة. «ما زلتِ معي؟»

«أراكَ في تمامِ الساعة السابعة والنصف» قالت أخيراً.

لاحقاً، لم تدرِ كيفَ أكرهَها بي زي على الذهابِ معهُ إلى حفلِ أنيتا غارسون، وقد كانَ حفلاً ضخماً وصاخِباً حضَرَهُ أناسٌ لا يُعجبونَها. كانَت هُنالك فرقة روك، وحيثُما نظَرَت ماريا كانت ترى غُرباءَ ومثليين ورجالَ عصابات. حاوَلَت أن تُبقيَ نورَ البهجةِ في عينَيها، وتُباعِدَ بينَ شفَتَيها قليلاً.. وظلَّت ملتصقةً بِـبي زي. «كيفَ حالُ كارتر؟» قالَ أحدٌ ما خَلفَها، ولمّا استدارت لتراهُ، إذا بهِ لاري كوليك.

«كارتر في موقع التصوير» قالت. لكنّ لاري كوليك كان مُنشغلاً عن الاستماعِ إليها بمُراقبةِ فتاةٍ حسناء ترقُصُ في الشرفةِ بفستانِها الأبيض.

«كم أودُّ أن أضاجعها» قالَ كوليك، متأمّلاً، موجّهاً حديثهُ إلى بي زي.

«ليسَ ذلكَ حُلماً مستحيلاً». أجابهُ بي زي.

أحاطَت ماريا كأسها بالمنديل. كانت قد ابتسَمَت بما فيهِ الكفاية، ولم تعُد تحتمِلُ النظرَ إلى أصابعِ كوليك المشذّبة ولا إلى حُلّتِهِ الباهظة الثمن، ولم تكُن راغبةً في معرفةِ السبب وراءَ سؤالِ لاري كوليك لِـبي زي حولَ تلكَ الفتاة ذات الفستانِ الأبيض.

«لم تقبل بمضاجعةِ رجالٍ كثيرين» قالَ لاري كوليك. «والذينَ ضاجَعتَهُم لم يكونوا رجالاً عاديين».

«بالطبع لا. يجبُ أن تدعوها لاحتساء الويسكي معك».

كانَ لاري كوليك ما يزالُ يحدّقُ في الفتاة. «ضاجعت ستّة رجالٍ فقط».

«كيف عرفت أنّهُم ستّة فقط؟»

هزّ لاري كوليك بكتفيه. «لقد أجريتُ بحثاً عنها. هُم ستّة فقط» ثمَّ، شارِداً، ربَّتَ على ذراعِ ماريا. «طمئنيني عن أحوالِكِ يا عزيزتي؟ وعن أحوالِ كارتر؟»

على الطاولةِ التي جلَسَت إليها ماريا وبي زي في الشرفةِ لتناوُلِ وجبة العشاء، كانَ هُنالكَ مُخرجٌ فرنسيٌّ جالس برفقةِ مصوّرهِ السينمائيّ وسحاقيّتينِ إنجليزيّتينِ كانتا تسكُنانِ في وادي سانتا مونيكا. جلَسَت ماريا إلى جانبِ المصوّر السينمائيّ الذي لم يكُن يُتقنُ الإنجليزيّة. وأثناءَ العشاء، اختفى بي زي والمُخرجُ الفرنسيّ في المنزل. فاشتمَّت ماريا رائحةَ الماريجوانا، بيدَ أنّ أمرَ الرائحة لم يُذكَر في الشرفة. فقد كانَ المصوّرُ السينمائيّ يُناقشُ، بالفرنسيّة، مع السحاقيّتينِ قضيّةَ حَيونَة التكنولوجيا الأمريكيّة للإنسان.

«عليكِ أن تأتي يوماً ما لتُجرّبي الساونا هُنا» قالَ لاري كوليك إذ عبرَ من جانِبِ الطاولةِ في طريقِهِ إلى داخِلِ المنزل. «هُنالكَ موسيقى مُذاعة. الجوّ رائعٌ للغايةِ هُناك».

وفي منتصفِ تلكَ الليلة، تعطّلَت إحدى مكبّراتِ الصوت، فبدأت الفرقة بتوضيبِ متاعِها استعداداً للمغادرة. وكانَ بي زي يدعو مجموعةً من الناسِ ليذهبوا معاً إلى منزلِه: المخرج الفرنسيّ، ولاري كوليك، والفتاة ذات الفستانِ الأبيض. «ياللبساطة!» قالَ مخاطباً ماريا. «الكتكوتةُ تُريدُ الضفدع!»

«يجبُ أن أعودَ إلى البيت».

«لستِ متألقةً كعادتِكِ الليلة، على أيةِ حال»

«أشعُرُ بأنّني رائعةٌ للغاية!» قالت ماريا، وأشاحت بوجهِها بعيداً كي لا يرى دموعَها. ولمّا هاتفَها ليس غودوين في تمامِ الساعة السابعة من صباحِ اليومِ التالي، انفجَرَت بالبُكاء. فأرادَ أن يعرِفَ سببَ بُكائها. «لأنّكَ تبعثُ فيَّ السعادة» قالت. وفي تلكَ اللحظة آمنَت بذلك.

-8-

«لم تسأليني ماذا حدَثَ بعدما غادرنا حفلَ أنيتا» قال بي زي.

«ماذا حدث؟» قالت ماريا غيرَ آبهة.

«نالَ كُلٌّ مُرادَه».

«ألا تسأمُ من الإغداقِ على الآخرين بما يشتهون؟»

حلَّ صمتٌ طويل. «ما أكبرَ سأمي» قالَ بي زي.

-9-

نَظَرت إلى كارتر بينما هوَ جالسٌ في حُجرةِ الجلوس، ولم تفكّر إلا في أنّ وزنهُ قد زاد. فقد كانَ قميصُهُ الأزرقُ مشدوداً على امتدادِ الأزرار. افتَرَضَت أنّهُ كانَ بمثلِ هذا الوزن لمّا هجَرَها، وما لاحظت ذلكَ الآن إلّا لأنّها لم ترهُ منذ مدّة طويلة.

«سوف تمكُثُ هُنا؟» سألته.

حكَّ ذقنَهُ بمفاصِلِ أصابعِ يدِه. «أغراضي كلّها هُنا، أليسَ كذلك؟»

جلَسَت ماريا على مبعَدَةٍ منه. وتمنّت لو أنَّ لديها سيجارةً تُشعِلُها، ولكن لم تكُن أمامها أيّ سيجارةٍ على الطاولة، وبدا لها من الطيشِ أن تنهضَ لتجلِبَ واحدةً من الحُجرةِ الأخرى. لم تبدُ إجابةُ كارتر، بسؤالهِ عمّا إذا كانت أغراضهُ كلّها هُنا ما تزالُ، وافيةً وشافية. غالباً ما كانت تشعُرُ ماريا وهيَ مع كارتر كأنّها إنغريد بيرجمان في فيلم مِصباحُ الغاز، ولم يكُن ذلكَ يروقُ لها.

«أعني، أعتقِدُ أنّنا منفصلانِ تقريباً» لم تبدُ هذه الإجابةُ أيضاً وافية.

«هذا إن كُنتِ ترغبينَ في الانفصال»

«لم أرغب في الانفصال. أعني، هل رغِبتُ أنا فيه؟»

«أبداً يا ماريا. لم ترغبي فيه».

حلَّ صمت. كانَ ذلكَ الموقِفُ جادّاً: فقد كانَ متمحوراً حولَ حياتِها. لو استطاعَت أن تُدرِكَ ذلك، فستنجحُ في اتخاذِ القرارِ الصائب، أيّاً كانَ.

«أظنّنا قادرَينِ على إعادةِ المحاولة» قالت متشكّكةً.

«هذا إن رغِبتِ حقّاً في ذلك»

«بالطبعِ أرغبُ في ذلك» قالت ولم تجِد ما تُضيفُه. «بالطبعِ أرغبُ في ذلك!»

«لماذا لا أحسُّ بأنّكِ ترغبينَ في ذلكَ حقاً؟»

«كارتر، بل أرغبُ فيهِ حقاً» صمتَت هُنيهةً، وقد أضناها التعبُ بغتة. «أو ربّما لا تكونُ تلكَ فكرةً سديدة».

«افعلي ما تشائين» قال، ثمَّ صعَدَ إلى الطابقِ العلويّ.

جَلَست ماريا مغمضةً عينيها إلى أن توقّفَ الشريانُ الذي في عُنُقِها عن النبض، ثمَّ تبِعَت كارتر إلى الطابق العلويّ. كان مُستلقياً على سريرِ حُجرةِ نومِهِما، مُحدّقاً في السقف. دخلت عليهِ فلم يتحرّك.

«سوفَ أذهبُ لزيارةِ كيت» قالت أخيراً.

«كم مرّةً ذهبتِ لزيارتِها مؤخراً؟» قالَ دونَ أن ينظُرَ إليها.

«نادراً» قالت، وأضافت: «مرّتينِ ربّما، خلال الأسابيع القليلة الماضية».

«بل ذهبتِ لزيارتِها أربعَ مرّاتٍ منذ الأحدِ الفائت».

سارَت ماريا بحزمٍ إلى حُجرةِ الملابِس، وبدأت برَبطِ شعرِها إلى الخلف.

«لقد هاتفوني» قالَ كارتر وهوَ في حُجرةِ النوم ما يزال، وكأنّهُ يُردّدُ نشيداً حفِظَهُ عن ظهرِ قلب. «هاتفوني ليُنبّهوني إلى أنّ زياراتِ الوالِدَينِ غير المُجَدولة من شأنِها تعكيرُ عمليّة تكيُّفِ الطفلة».

«تكيّفُها على ماذا؟» قالت وهيَ تدُسّ دبّوساً في شعرِها.

«سبَقَ أن تناقشنا في ذلكَ يا ماريا. لقد فعلنا ذلكَ أكثرَ من خمسينَ مرّة!»

احتضنَت ماريا رأسَها بينَ ذراعَيها على الطاولة في الحُجرة. ولمّا نظَرَت إلى نفسِها في المرآة، رأت كارتر خلفَها. مرَّ عليها وقتٌ كانت تشعُرُ فيهِ بالخَدَرِ وهيَ بصُحبةِ إيفان كوستيللو، والآن أحسَّت بذاتِ الخدَرِ وهي في حضرةِ كارتر.

«كفّي عن البكاء» قالَ كارتر. «أعلمُ أنّ الأمرَ يُؤلِمُكِ، ولكّننا نفعلُ ما بوسعِنا. قُلتُ لكِ كفّي عن البُكاء»

«أنا لا أبكي» قالت. وصَدَقَت.

-10-

«لا تروقُ لي الخلطاتُ الجاهزة. أعتذِر، لن أستخدِمَها» قالَ المُدَلِّكُ، الذي كانَ يحلمُ بأن يصيرَ كاتِباً، من المطبخ. كانت ماريا مُنبطِحةً فوقَ الرملِ تحتَ الشمسِ، تُحاوِلُ تجاهُلَ صوت المُدلِّكِ بالتركيزِ على كيت (شعر كيت، وتصفيف شعرِ كيت. في آخرِ مرّةٍ زارتها فيها، وكانَ شعرُ كيت مُتشابِكاً، جَلَسَت بصُحبتِها على العُشبِ وصفّفَتهُ لها، فاستحالَ شعرُها المتشابِكُ إلى جدائل ذهبيّة. كانوا قد أبلغوا ماريا ألّا تزورَ كيت كثيراً، ولكن لم تكُن في يدِها حيلة. فهُم لم يكونوا مُهتمّينَ بتصفيفِ شعرِ كيت). لطالما كانَ هُنالِكَ أحدٌ تتجاهَلُ ماريا الاستماعَ إلى صوتِهِ لمّا كانت تزورُ بي زي وهيلين في منزِلِهما. فإمّا كانَ أحدَ الفتيانِ العابسين الذينَ كانَ بي زي يتعرّفُ عليهِم في مُدنٍ مثل أكابولكو، وكتسبويل، وطنجة. وإمّا كانت إحدى صديقات هيلين، إحدى أولئك النساء اللاتي كانت هيلين تتسوّقُ وتنظّمُ رحلاتِ استجمامٍ في منتجع بالم سبرينغز ولا كوستا برفقتِهِنّ، أولئك النساءُ اللاتي يرتدينَ قمصانَ بوشي الحريريّة ويَضَعنَ كُحلاً بانتظام، ولهُنَّ أزواجٌ غائبونَ دائماً. كانت صديقاتُ هيلين دائماً في منتصفِ الأربعينات، أكبرَ بحوالَي عشر سنواتٍ من هيلين. كما كُنَّ يتبادَلنَ عناوينَ المُنجّمينَ الجُدد، ومقاطِعَ مُضحكة من النكاتِ القديمة. ومرّةً، كانت هيلين مُستضيفةً إحدى صديقاتِها عندما وصَلت ماريا برفقةِ كارتر إلى هُناك. «سأقولُ لكِ شيئاً، لديهِ هاتِفٌ كبير!» كرّرت الجُملةَ عدّة مراتٍ، وتبادلت الضحكاتِ مع هيلين. بدَت تلكَ نُكتةً، بيدَ أنَّ ماريا لم تسمَع مَطلَعَها. في العادةِ، كانت ماريا تنجَحُ في تجاهُلِ صديقات هيلين بسهولة،

بيدَ أنَّ تجاهُلَ أصدقاءَ بي زي كانَ أصعَب، وكانَ تجاهُلُ ذلكَ المدلِّك تحديداً غايةً في الصعوبة. من جِهةٍ لأنَّ صوتَهُ كانَ جاذِباً، ومن جهةٍ أخرى لأنَّها كانت قد التقت بهِ من قبل، وكانت متيقّنةً من أنها التَقَته. بدا أنّهُ لا يعرفُها، ولكنّها كانت واثقةً من أنّها التقتهُ، قبلَ ثلاث سنوات، في بيتِ أحدِ الأصدقاء في سانتا باربارا. هيَ تذكُرُ أنّهُ أتى بعد لعِبِ البولو مع بعضِ الأشخاص الذين كانوا لا يتحدّثونَ إلّا إلى المُضيفِ وإلى بعضِهِم، ولا يتحدّثونَ إلى كارتر أو إليها -كانَ من بينِهِم ممثلٌ لم تُلاقِ أفلامُهُ الأخيرة أيّ نجاح، ومعهُ أمّه، وفتاةٌ وريثة- وكان هوَ سكرتير الممثل وليسَ مدلّكاً. وعلى الرغم من أنَّ ماريا كانت مستلقيةً تحتَ شمسِ الظهيرةِ في ذلكَ اليوم التّشرينيّ الجافّ، فإنّها شعَرَت بقشعريرةِ بردٍ لمّا تذكّرت ظهيرة ذلكَ اليوم في سانتا باربارا. كانت المشكلةُ الآنَ في مظهره. فهوَ لم يتغيّر منذ اليوم، بينما هيَ كانت قد تغيّرت.

«بي زي، هل أعددت هذا كي تُعذّبني؟» قال، وهوَ واقفٌ وبيدِهِ ليمونةٌ بلاستيكيّة. «لن أستطيعَ عصرَ هذه الليمونة البلاستيكيّة. لا بدّ أنّ أحداً ما وضعها هُنا عمداً. إنّها نكتةٌ رديئة!»

«إن كلّ أصدقاء بي زي معقّدون» غمغمَت هيلين دونَ أن تفتح عينَيها.

«فتاةٌ شقيّة!» قال بي زي، وضحِك. ثمَّ حمَلَ ميداليّتهُ الفضيّة في يدِهِ كي تلتمِعَ في ضوءِ الشمس. كانَ لونُ بشرةِ بي زي أسمرَ دائماً، ومُزيَّتاً، ولامِعاً، ولم تكُن سُمرةُ جِلدِهِ مُصطنعةً وغريبةً مثلَ سُمرةِ فريدي شايكين وغيره، بل سُمرةً دالَّةً على أنّهُ أمضى عُمُرَهُ كلّهُ مُعرّضاً جِلدهُ للشمس. «أليست هيلين شقيّة يا كارتر؟ ألستُ متزوّجاً من عاهرة؟ وثالثاً: من تُراني أُقلّدُ الآن؟»

«نفسَك» قالت هيلين.

«كارتر ليسَ مُنصتاً» قالَ المُدلّك. «لا تكوني بليدةً يا هيلين، اذهبي إلى الشاطئِ واسألي أودري وايز أن تُعطيكِ بضعَ ليمونات»

فتحت هيلين عينيها. «أتدري ماذا أهدى جيري أودري في ذكرى ميلادِها؟»

«دعيني أفكّر..» تحسّسَ بي زي بإصبعِهِ طرَفَ لسانهِ ثمّ وضعَ أصبعهُ في الهواء. «زهرة بيضاء جميلة».

«بل ألفَ دولارٍ جميل» قالت هيلين. «أيّها المتحاذق!»

«ربّما تبتاعُ بها قضيباً منتصِباً!» قالَ بي زي.

قرقرَت هيلين. «لدى جيري هاتفٌ كبير!»

«الليمونات» قال المدلّك.

ألقى كارتر النصَّ السينمائيّ الذي كانَ مشغولاً بقراءتِهِ، وهبَّ واقفاً. «أنا سأُحضرُ الليمونات الملعونات» قال. ظلّت ماريا مُستلقيةً حتّى تأكّدت من أنّ كارتر ابتعَدَ وراءَ الكُثبان، ثمّ جَلَست باعتدال، فأحسّت بدَوخة. تحتَ العلم الأمريكيّ الباهِت كانا مُستلقيينِ كأنّهُما مرسومان في لوحة: بي زي والمُدلّك، بجسدَيهِما اللامِعَينِ تحتَ الشمس، كأنّهُما منيعانِ ضدَّ الفناء وخُطى الزمن. كما كانت هيلين واقفةً تتأمّلُ الشاطئَ ناحيةَ منزلِ أودري وجيري وايز. لم تبدُ هيلين منيعةً ضدّ الزمن، فقد كان قِوامُ فخذَيها مَعيباً، كما كانَت هُنالكَ خشونةٌ وغرابةٌ في لحمِها، وافتقارٌ إلى اللّيونة، وكان ذلكَ ملحوظاً في المواضِعِ التي تلتصقُ فيها أطرافُ ملابسِها بلحمِها. فكّرَت ماريا في أنَّ المنَعَةَ ضدّ الفناءِ وخُطى الزمن هيَ مِنحةٌ ليست من نصيبِ النساء. تلكَ الفتاةُ الوريثة التي رأتها ماريا عندما التَقَت المُدلّك، لاقت مصيراً مأساوياً. لقد قُتِلَت برصاصةٍ في وجهِها أطلَقَها ابنُها ذو الأربعةَ عشر عاماً. وقد انتشرَ ذلكَ الخبرُ الصادِمُ في الصُّحُف منذ أعوام. وبعدما قتَلَ الصبيّ أمهُ، أردى نفسه.. ووصَفَهُ أبوهُ لاحِقاً بأنّهُ ضحيّة الطلاقِ والمخدّرات. ظنّت ماريا أنّها تعرّضت لضربةِ شمس. أغمضَت عينَيها وركّزَت فِكرَها في صلاةٍ كانت قد حفِظَتها في صِغَرِها.

«لن يتناولَ معنا الغداء» قالت هيلين.

«يبدو أنَّ أمراً ما فاتني» قالَ المدلّك بوقاحة. «هل سيُحضِرُ الليموناتِ أم لا؟»

«إنَّ المثليين يُزعجونَ كارتر» قالت هيلين بسرور.

ضحِكَ بي زي وأرسَلَ إلى هيلين قُبلةً في الهواء. قال: «الحقُّ يا نيلسون، أنَّ تلكَ الليمونة ليست بلاستيكيّة. تلكَ الليمونةُ مُصنَّعة».

نهَضَت ماريا وتناولت منشفةً، وأسرَعَت إلى داخِلِ المنزلِ واضِعَةً المنشفةَ على فمِها، ثمَّ بعدَ دقائق (وقد كانت باهتةً بسببِ ضربةِ الشمسِ ومُغطّاةً بالعرَقِ البارد) ذهَبَ عنها الغثيان، فخلعَت ثوبَ السباحةِ، وأدرَكَت أنّها لم تحِض منذ واحدٍ وخمسينَ يوماً.

-11-

«لم يُذهلني فحسب سؤالُكِ هيلين عن مقدارِ المال الذي تُعطيهِ أمُّ بي زي لهُما كي لا يتطلّقا» قالَ كارتر في طريقِ العودةِ من الشاطئ. كانَ حينَها يقودُ بسُرعةٍ لأنَّهُ كانَ مُرتبطاً بموعِدٍ مع فريدي شايكين وكاتبٍ من نيويورك في مطعمِ شيسين في تمامِ الساعة السابعة. «لم يُذهلني ذلكَ فحسب».

«تلكَ حقيقة».

«وما تلك؟»

«أنَّ كارلوتا تُعطيهِمُا المالَ كي تحولَ دونَ طلاقِهِما»

«وإن يكُن؟»

«لقد سئمتُ من تدابيرِ الناس!»

«ما أعجَبَ رصيدَكِ اللغويّ!»

نظَرَت إليهِ، ثمَّ تكلّمت بسُرعةٍ وبصوتٍ خفيض. «رصيدي اللغويّ عجيبٌ حقاً، كما أحمِلُ في أحشائي طِفلاً!»

أبطأ كارتر من سرعةِ المركبة. «فاتتني تحويلة». قالَ أخيراً.

لم تنظُر ماريا إليه.

«هذا الطفلُ ليسَ منّي» قال، رافعاً صوتَه. «أفترضُ أنّكِ ستُخبرينني أنّهُ ليسَ منّي».

«لستُ أدري».

لم تدرِ لِمَ قالت ذلك، ولكنّها قالته. كانَ يجبُ أن تكونَ واضِحةً في هذا الأمر. وللحظةٍ، لم يُعقّب كارتر.

«لا تدرين! لا بدّ أنّكِ تُمازحينني!» قال.

رفَعَت قدمَيها العاريَتينِ على لوحةِ القيادة، وألصَقَت وجهها برُكبَتَيها. لقد صرّحَت الآنَ بالحقيقة. والخيارُ موكولٌ لهُ، فإمّا أن يبقى وإمّا أن يرحل. أمّا هيَ، فقد أدّت ما عليها، وباحت بما تعرِف.

«طِفلُ من إذاً؟» قال.

«أنت أدرى»

أبقى عينيهِ مثبّتتينِ على الطريقِ السريعِ أمامه، وقدمَهُ ضاغِطةً على دوّاسةِ البنزين. أرادت أن تعتذِر، بيدَ أنّ الاعتذارَ لم يبدُ لائقاً، كما بدا موضوع اعتذارِها أكبرَ وأعمقَ من كلّ مخزونِها اللغوي، وبدت كُلّ الكلمات عاجزةً عن التعبيرِ عنه، وبدا الصَّمتُ في ذلكَ المقامِ أبلغ. أسدلت شمسُ المغيبِ على المُحيطِ الهادئِ ستاراً من بهاء، ولفَحَت الريحُ وجهَ ماريا. وفورَ خُروجِهِما عن طريقِ الساحِلِ السريع، رَكَنَ المركبةَ عند طرفِ الرصيف.

«أنا أدري، ولكنّ فيليسيا لا تدري»

لم تنبِس ماريا بكلمة. كانَ الأمرُ يأخذُ منحىً سيئاً.

«ما الذي يجعلكِ متأكدّة من الأمر» قال.

«لم أقُل إنّني متأكّدة» بدا الهواءُ كأنّهُ توقّفَ بُرهةً، فخلَعَت وشاحها. «قُلتُ إنّني لا أدري».

«أعني ما الذي يجعلكِ متأكدةً من حدوثِ الحمل؟»

«لأنّني ذهبتُ إلى أحدِ الأطباء...» تطايَرَت الكلماتُ من فيها بسُرعةٍ كبيرةٍ، بيدَ أنّ فِكر ماريا كانَ مشغولاً بأمرٍ آخر. تذكّرت أنهُما سبَقَ أن تناولا وجبة العشاء في منزلِ شخصٍ ما في سان فيسينت القريبة من المكان الذي أوقف فيه كارتر المركبة. لم تتمكّن من تذكّرِ هويّة الشخص الذي استضافهُما في منزله، ولكنّها تذكّرت طعامَ العشاءِ اليابانيّ والنساء اللواتي كُنّ يرتدينَ أقراطاً يدويّة الصنع، وأنَّ الفصلَ -آنذاك- كانَ صيفاً. «لأنّني ذهبتُ إلى أحدِ الأطباء، وكانت نتيجة الفحصِ إيجابيّة، ولكنّ دلالةَ ذلكَ الفحص ليست قطعيّة، ولذلكَ طلبَ منّي أن أجلبَ لهُ شيئاً من بولي كي يُجريَ عليهِ فحصَ

الأرنب. وحقَنني، ولو أنّني لستُ حاملاً لتسبّبت الحقنة في حيضةٍ خلال خمسة أيام على أقصى تقدير» توقّفت عن الكلام. خطَرَ لها أنّ هذه المرحلةَ، ضِمنَ سيناريو حياتِها، تُسمّى في عُرفِ السينما: المشهدَ الإلزاميّ. وتساءلَت باهتمامٍ طفيفٍ إلى متى قد يستمرّ هذا المشهد. «وقد مرّت على حقنِهِ لي ستّة أيام».

«وماذا عن الفحص؟»

«أيُّ فحص؟»

«الفحص الذي ذَكَرتِه. الفحص الثاني».

«فحصُ الأرنب». شعَرَت فجأةً بإعياء وسأمٍ من الكلام. «لم أراجِعهُ بخصوصهِ بعد».

«هل خِفتِ من مُراجعتهِ بخصوصه؟» تكلّمَ بنبرةٍ حذِرة، كأنّهُ مُدّعٍ يُرافِعُ في قضيّةٍ محسومة. «ظننتِ أنّكِ إن لم تُراجعيهِ في الأمرِ، فسينتهي كأنّهُ لم يكُن».

أغمضَت عينَيها. «أظنّ ذلك. أظنّكَ محقاً».

«ولكنّ الأمرَ الآن مؤكّد. وإلّا فإنّ الحَيضَةَ كانت ستأتيكِ بعدَ الحُقنة».

أومأت برأسِها.

«أيّ طبيب؟ من هوَ الطبيب؟»

«طبيب. في ويلشاير».

«طبيبٌ غير معروف. أتَرينَ أن ذلكَ أمرٌ صائب؟»

لم تنبس بكلمة.

«ما يُهمّني هوَ آليّة أداءِ هذا الأمرِ يا ماريا. أودُّ فقط أن أطمئنَّ إلى سلامةِ عقلِكِ. كيفَ اخترتِ ذلكَ الطبيب تحديداً، ولماذا اخترتِهِ دونَ غيره».

طوَت ماريا وشاحها ووضعتهُ بهدوءٍ على رُكبتَيها العاريتين. «كانَ قريباً من ساكس» همَسَت أخيراً. «وقد كُنتُ أصفّفُ شعري في ساكس».

-12-

ليلتها، وهي جالسةٌ عند البركةِ وحدها في وقتٍ متأخرٍ وسطَ الظلام، تذكَّرَت هويّةَ صاحِبِ المنزِل في سان فيسينت حيثُ تناولت الطعامَ الياباني. كانَ منزِلَ سيدني وروث لوميس. كانت سيدني لوميس كاتبةً تلفزيونيّة، بينما كانت روث لوميس ناشطةً في حركةِ الحقوقِ المدنيّة وفي مجموعاتٍ عِلاجيّة. ماريا لم تكُن قادرةً قطُّ على التحدّثِ إلى روث لوميس، ولكنّ ذلكَ لم يكُن سببَ مُقاطعةِ كارتر لِسيدني وروث لوميس. بل قاطعَهُما لأنَّ المسلسلَ التلفزيونيّ الذي كتبَتهُ سيدني لوميس أُلغِيَ وهوَ في أوجِهِ، ولم يُسنَد إلى كارتر أيّ مسلسلٍ بديل. كانت ماريا مُصرّةً على استيعابِ كارتر بتلكَ الصورة: كارتر المُتخلّي عن أصدقائِهِ ومسؤولياتِه، وذلكَ لأنّها إن استَوعَبَت كارتر بالصورةِ التي هوَ عليها هذه الليلة، فسوفَ تبكي لا محالة. لقد غادرَ المنزل. كما أنّهُ لم يلتقِ بِفريدي شايكين ولم يُهاتفهُ ليعتذرَ عن اللقاء. وهيَ علِمَت بذلكَ لأنَّ شايكين هاتَفَه ليطمئنّ. لقد تمكّنَت أخيراً من التأثيرِ في كارتر، ولكن يبدو الآنَ أن الوقتَ قد فات. «ماذا عساني أفعل؟» قالَ قبلَ أن يُغادرَ المنزل. «ماذا عساني أفعلُ بحقّ الجحيم!»

-13-

هاتَفَها كارتر صباحَ اليومِ التالي من نُزُلٍ في الصحراء. وكانَ صوتُهُ موزوناً راسِخاً، كأنّهُ كانَ يتدرّبُ على ما سيقولهُ لها كلّ الليل. «أنا أحبّك» قالت هامسةً، ولكنَّ نبرتَها كانت أقرَبَ إلى الاستجداءِ منها إلى التصريح، فلَم يرُدّ هوَ عليها. «أحضري قلماً..» قالَ بلهجةِ الآمِر. كانَ يريدُ إملاءَها رقمَ هاتفِ الرجُلِ الوحيدِ في لوس أنجلوس الذي يقومُ بعمليّاتِ إجهاض.

«بعدها، لنا حديث»

«لستُ واثقةً من أنّني أريدُ الإجهاض» قالت بحذر.

«حسناً. لا تفعلي. أنجبي الطّفل». تريَّثَ لحظةً، واثقاً من أنَّ لهُ اليد الطّولى في هذا الأمر. أمّا هيَ، فاكتَفَت بانتظارِ تتمّة الجُملة. «وأنا سآخُذُ كيت منكِ».

بعدما أنهى المكالمةَ، جلسَت ساكِنةً يُخامِرها إحساسٌ عجيبٌ أنَّ كلَّ شيءٍ إنّما يسيرُ كما قُدِّرَ له. ولمّا هاتَفَتهُ هيَ، كانت هادئةً، ولا مباليةً، لا تبتغي من مُهاتفَتِهِ سوى توضيح الشروط. «اسمع» قالت. «عِدني، إن أنا أجهضتُ الطفل، أن أحظى بِكيت. وعِدني بألّا تتسبّب لي بأيّ مشاكل لاحقاً».

«لن أعِدَكِ بشيء» قال. «قُلتُ لكِ: بعدها، لنا حديث».

-14-

في تمامِ الساعةِ الرابعة من عصرِ ذلكَ اليوم، بعدَما أمضَتْ كلّ الصباحِ تُحدّقُ في الهاتِفِ وتُشعِلُ السجائر وتُطفِئها وتشربُ الماءَ وتُتابعُ التحديقَ في الهاتِف، هاتَفَت ماريا ذلكَ الرجُلَ الذي أعطاها كارتر رقمَ هاتفِه، وأجابَها قائلاً إنّهُ سيُهاتِفُها لاحِقاً. ولمّا هاتَفَها، سألَها عن هويّةِ من أوصَلَها إليه.

«تُريدينَ موعِداً مع الطبيب..» قال.

«متى يستطيعُ لقائي؟»

«يُريدُ الطبيبُ أوّلاً أن يعرِفَ كم أسبوعاً مضى».

«كم أسبوعاً مضى على ماذا؟»

حلَّ صمت. «على المُشكلة، يا ماريا» قالَ الرجُلُ أخيراً.

-15-

«كانَ الطعامُ مُريعاً.. ملابسي تعفّنَت في الخزانة.. يُمكنكَ أن تذهبَ إلى كوزوميل» قالت والدةُ بي زي. كانت تلعبُ السوليتير، بينما كانت ماريا تجلسُ واجِمةً بسببِ النورِ المنعكسِ عن سوارَي الوالدةِ الألماسيّين في مِعصَمَيها النحيلَين الأسمَرَين. «وإلى ماتشو بيتشو أيضاً». أضافَت، مُلقيةً بطاقةً أخرى على الطاولة.

«لستُ أدري لِمَ زُرتِ كوزوميل» قالت هيلين. «بما أنّكِ لا تكادينَ تحتمِلينَ المكسيكيّين».

«قال لي بي زي إنّها رائعة. هذا هوَ السبب».

«لأنَّ بي زي يُحبّ المكسيكيين».

«أنا أعرِفُ لماذا يُحبّ بي زي المكسيكيين» خلَطَت كارلوتا ميندينهال فيشر الأوراقَ، ثمَّ أشارت إلى ماريا. «هل طلبتُم من هذه الطّفلةِ أن تدعونا للعشاء أم لا؟» قالت.

«ما زالت الساعةُ الآن السابعة يا كارلوتا. أظنّ أنّنا سنحتسي كأسَ نبيذٍ آخَر».

«أنا أتناولُ العشاءَ في تمامِ السابعة دائماً».

«عندما كنا في ببل بيش آخرَ مرّة..» قالت هيلين. «تناولتِ العشاءَ في الساعةِ الحادية عشرة إلّا ربعاً».

تبادَلَت هيلين ووالدةُ زوجها نظرةً خاطفةً، ثمّ انفجَرَت كارلوتا ضاحكةً. «هذه الفتاةُ هي ابنتي فعلاً» قالت أخيراً لِماريا بينما يكادُ نفَسُها ينقطِعُ من فرطِ ضحِكِها. «ابنتي التي لم أَلِدها».

«بخصوصِ ابنتكِ التي ولدتِها..» قالت هيلين. «هل تعرفُ نيكي أنّكِ عُدتِ؟»

«نيكي! نيكي مثل هذه الفتاة.. لا أُشعِرها إلّا بالضجر» ونظرت إلى ماريا. «ألا أُضجِرُكِ؟ اعترفي».

اعترت ماريا الحيرة. لقد علِمَ الرجُلُ الذي هاتفتهُ ما تُريدُ دونَ أن يُصرّحَ أيٌّ منهما به. قالَ لها الرجُلُ إنّ العمليّة مُكلِفة. قالَ لها الرجُلُ إنّها يجبُ أن تجلِبَ معها في اليومِ الموعودِ فوطةً ومِنطقةً وألفَ دولار. مُحتارةً، أشاحت ماريا بنظرِها عن عينَي كارلوتا الزرقاوين، اللتينِ تلتمعانِ تماماً مثلَ سوارَيها.

«أليسَت..» عقَّبَت ماريا.

«ما هي؟»

«أعني كوزوميل..» قالت ماريا أخيراً. «ذهبتِ إليها في فترةِ الركودِ السياحيّ؟»

«بالطبع في فترةِ الركودِ السياحيّ» قالت كارلوتا مبتهجةً.

خاطَبَها الرجُلُ باسمِها: ماريا.

قالَ لها الرجُلُ إنّهُ سيبقى على تواصلٍ معها.

«كارلوتا تهوى التوفيرَ في المصروفات» قالت هيلين.

«والآن.. لم تُجيبيني: ألا أُضجِرُكِ؟» قالت كارلوتا.

-16-

في صباحِ اليومِ الجافِّ والحارِّ التالي، استيقَظَت تصرُخُ باسمِ أمّها
هيَ لم تصرُخ باسمِ أمّها منذ الموسم المشؤوم في نيويورك، ذلكَ العا
الذي لم تفعل فيهِ شيئاً سوى المشي والبُكاء وخسارة كثيرٍ من وزنها
دفَعَ الشركة إلى الاستغناءِ عنها. لم تكُن قادرةً على الأكلِ في ذلكَ الع
لأنّها كلّما كانت تنظُرُ إلى الطعام تراهُ مُنسّقاً في لفافاتٍ تبعثُ في نفس
روحَ الشؤم. كانت تعرِفُ أن طبقَها خالٍ من الأفاعي، بيدَ أنّها حينَ تُغ
في الأفاعي تفقِدُ شهيّتها للطعامِ فوراً. كان عقلُها في ذلكَ العام مُزدح
بالأسئلة. متى حدثَ ذلكَ بالتحديد؟ وماذا كانت تفعلُ بالضبط في نيويور
لحظةَ فُقدانِ أمّها السيطرةَ على مركبتِها خارِجَ تونوباه؟ ماذا كانت أمّها ترتدي
لحظَتَها، وبِمَ كانت تفكّر؟ وماذا كانت تفعلُ في تونوباه أصلاً؟ تخيَّلت أ
أمّها كانت على موعِدٍ مع طبيبٍ ما في تونوباه، وأنَّ الطبيب أخبرها بأنّها
مريضةٌ بالسرطان، وأنَّ أمّها حادَت بمركبتِها عن الطريق قصداً. تخيَّلت أ
أمّها حاولت الاتصالَ بها من هاتفٍ عموميّ في تونوباه، وتخيّلَتها واقفةً في
حُجرةِ الهاتف ومعها عملاتٌ نقديّة، وتحاولُ الاتصالَ بها. لم تكُن ماريا
واثقةً من أنَّ أيّاً من تخيّلاتِها تلكَ حدثت فعلاً، ولكنّها لم تنفكّ تتخيّل.
وكانت تسرحُ بِخيالِها، عادةً، ساعةَ غروبِ الشمس في نيويورك، تتخيلُ أمّها
وهي تحتضرُ في نور الصحراء، بينما ابنتُها منشغلةٌ في عتمةِ الشرق. كانت
تتخيّلُ كلّ العملات النقديّة في حوزةِ أمّها، وتتخيّلُ الضوءَ الساقطَ على
شجرِ الحور، وتخيّلت أمّها تسألُها عمّا حدا بها للذهابِ إلى الشرقِ المُعتِم.
وعن الوقت هُناك، لا بدّ أنّ أمّها كانت ستسألُها عن الوقت. وعن الطقس.

ما كانت لتُخبِرَ ماريا عمّا يجولُ في خاطِرِها، غيرَ أنّها كانت ستقولُ لها كلاماً غامضاً، ثم تختِمُ المكالمة بالوداع. ذاتَ مرّةٍ، وفَّرَت ماريا ما يكفي من المالِ كي تُعطيهِ لأمّها لتُسافِرَ حولَ العالم.. بيدَ أنّها أعطتهُ لِإيفان كوستيللو بدلاً منها.. وبعدها ماتت أمّها.

«أنا لا أبكي» قالت ماريا حينَ هاتَفَها كارتر من الصحراءِ في الثامنة صباحاً. «أنا في أفضلِ حال».

«لا تبدينَ في أفضلِ حال».

«رأيتُ حُلماً مُزعجاً».

حلَّ صمت. «هل هاتفتِ الطبيب؟»

«نعم. هاتفتُه» قالت بسُرعة. «وتمّ ترتيبُ كلّ شيء. كُلّ شيءٍ أُعِدّ كما يجب».

«ماذا..؟»

«يجبُ أن أذهبَ الآن. يجبُ أن أنهي المكالمة الآن. عليَّ أن ألتقي بشخصٍ ما بخصوصِ عمل».

«انتظري دقيقة يا ماريا. أخبريني ما قالَ لكِ الطبيب».

كانت تُحدّقُ في مرآةٍ صغيرة، تتأمّلُ التشابُهات بينها وبينَ أمّها. أحياناً، في بعضِ المساءات، كانت ماريا تنجرِفُ إلى عالمٍ بائسٍ لا تألفُهُ النساء، فتضيعُ منها الكلمات. ولذلكَ لم تجِد ما تقولهُ لِكارتر.

«قُلتُ لكِ أخبريني ما قالَ لكِ الطبيب يا ماريا!»

«قالوا إنّهُم سيُهاتفونني ذاتَ يوم، وفيهِ سألتقيهِم في مكانٍ ما ومعي فوطة ومِنطقة وألف دولار. ارتَحتَ الآن يا كارتر؟ ارتَحت؟»

-17-

على الرغم من أنَّ حرارةَ الجوّ لم تكُن قد انخَفَضَت بعدُ، فإنّ مار
صارت تنامُ داخِلَ المنزل، وتلتحِفُ الملاءاتِ البيض، آمِلةً في أن يكو
للملاءاتِ تأثيرٌ سحريٌّ ما، فتستيقِظَ ذات صباحٍ لتجِدَ بياضَها وقد زُيِّنَ بلَ
الحيض. التحَفَت الملاءات وفيها أملٌ شبيهٌ بذلكَ الأمل الذي كانَ يملؤ
حينَ ألقَت، قبلَ شهرٍ، صندوقاً كاملاً من الفوطِ النسائيّة في القمامة: مُعتقدة
أنَّ التخلص منها سيضمَن مجيءَ الحيض، مثلما أنَّ نومَها عاريةً مُلتحفة
الملاءات البيض سيضمنُ تلطُّخها بالدم. ولكَي تُعطي السّحرَ فُرصةً كاملة،
كانت تُبدّلُ الملاءات غير الملطّخة كلّ صباحٍ بملاءاتٍ جديدة. كما كانت
ترتادُ الحفلات مُرتديةً ثوباً أبيض دونَ لباسٍ داخليّ.

تظاهرت أنّها ستحتفِظُ بالطّفل ولن تُجهِضه (مُفترضةً أنّ ذلكَ سيُعجّلُ
من اتّصالِ الطبيب، وكأنّها تستدرجُ الإجهاضَ وتستثيره). «سوفَ أرزَقُ
بطفل» سمِعَت نفسَها تُخبِرُ حارسَ المرأب في ساكس بينما كانا يُحاولان
إدخالَ مهد ابنتِها في المركبة. ولمّا تأكّدَ لها أنّها لا بدّ تاركة المهد كي
يوصلوهُ هُم إلى منزلِها فيما بعد، جلسَت في مقعدِ السائقِ في مركبتِها،
وبكَت. بكَت كثيراً. صارت تبكي كلّ الوقت، وهيَ تقودُ المركبةَ، وهي
تحاولُ تنظيفَ المرحاض.. ولمّا تتظاهرُ بأنّها لن تُجهض طفلها، كانت
تتساءلُ أينَ ستُجهِضُهُ ومتى!

«هاتَفني أحد؟» سألَت مسؤول الهاتف.

«السيّد غودوين، من نيويورك. هاتفَكِ ثلاث مرات، وطَلَبَ أن تُهاتفيه
فوراً».

نظَرَت مرّةً أخرى في مرآتِها الصغيرة، ورأت أمّها مجدداً. «أخبرهُ أنّكَ لم تُبلِغني باتصالاتِه». لم تكُن واثقةً من القرارِ الذي ستُبلِغُهُ إياه.

-18-

«الإثنين» قالَ الرجُل عبرَ الهاتف. «الإثنين في تمام الساعة الخامسة. سوفَ أهاتِفُكِ مجدداً يومَ الإثنين».

«أين؟» قالت. «أينَ سأذهب؟»

«قُلتُ لكِ سأهاتفكِ مجدداً يا ماريا. اطمئنّي».

قادَت مركبتها إلى الشاطئ، وكانَ هُنالِكَ غثاءٌ زيتيّ على رملِهِ، كما كانَ في الموجِ الرّخو مَدٌّ أحمر وأكوامُ عُشبٍ بحريّ على خطّ الماء. وكانَ العُشبُ البحريّ غاصّاً بالذباب. وتراكَبَ بعضُ الموجِ فوقَ بعضٍ برِفق. لمّا عادت ماريا إلى المدينةِ قادَت مركبتَها دونَ غايةٍ عندَ صانسيت، ثمّ أوقفت مركبتَها عند مرأبٍ في طريقٍ لا بريا، وشرِبَت قنينةَ كوكاكولا فبثَّت في روحِها عزمًا.. فإذا بها تترجّل من مركبتِها وتسيرُ على الأسفلت الساخِنِ إلى حُجرةِ هاتفٍ عموميّ.

«أنا ماريا» قالت ومِلءُ صوتِها العجز لمّا أجابَتها فيليسيا غودوين من نيويورك. لم تدرِ لِمَ، ولكنّها لم تتوقّع أن تُجيبَها فيليسيا. «كُنتُ أتساءل متى ستعودان؟».

«ظللنا أياماً نُحاولُ مُهاتفتكِ دونَ جدوى» كانت فيليسيا تتحدّثُ في الهاتفِ دائماً بنبرةٍ توحي بالاهتمامِ والاستعجالِ الزائف كَيما تُخفي بذلكَ لامبالاتِها. أحياناً كانت ماريا تغتمُّ لأوجُهِ الشبهِ الكثيرةِ التي تجمعُها بِفيليسيا. «لِيس قلِقَ عليكِ، ظنّاً منهُ أن خطباً ما دهاكِ. ولكنّني طمأنتُهُ أنّكِ

برفقةِ كارتر في الصحراء. وعلى أيةِ حال، سوفَ نعودُ في غضونِ بضعةِ أيام، وهذه المرّة سنبقى ولن نُغادر.. وذلكَ لأنّنا سنبتاعُ منزلاً» أخذَ صوتُ فيليسيا بالتلاشي، كأنّها وصَلَت بِطاقتِها على التواصُلِ إلى حدّها الأقصى.

«هل أنهى ليس كتابة النصّ؟»

«سوفَ أناديهِ ليُحدّثَكِ..» قالت فيليسيا بارتياح.

«لا عليكِ» قالت ماريا، ولكن بعد فواتِ الأوان.

«أينَ كُنتِ؟» قالَ ليس.

«في الأرجاء» عندما سمِعَت صوتَهُ أحسَّت بتحَسُّن مُفاجئ. «لم أرغب في مهاتفتِكَ لأنّني...»

«صوتُكِ غيرُ واضحٍ يا ماريا، أينَ أنتِ الآن؟»

«في حُجرةِ هاتفٍ عموميّ. أردتُ فقط أن...»

«هل أنتِ بخير؟»

«لا. أعني نعم». كانَت بقُربِها حافلةٌ توشِكُ على التحرّكِ، فرفَعَت صوتَها. «اسمع. هاتِفني».

سارَت عائدةً إلى مركبتِها، وجلَسَت لفترةٍ طويلةٍ في المرأب: تُحضّرُ المركبة للانطلاق، وتُراقبُ امرأةً بثوبٍ ملوّنٍ إذ تخرجُ من نُزُل كارولينا باينز وتقطَعُ الشارعَ متّجهةً إلى أحدِ المتاجر. كانت المرأةُ تسيرُ متبخترةً، ترفَعُ يدَها كُلّ حينٍ لتحجُبَ ضوءَ الشمسِ الخافتَ عن عينيها. أحسّت ماريا، وهي تراقبُ تلكَ المرأةَ، بأنّها دخلت في ما يُشبِهُ الغيبوبة.. وذلكَ لأنّها شعَرَت كأنّها تُراقِبُ لامبالاةَ الكَون، وتفاهتَهُ وعدميّتَهُ المُطلقة. لم تدرِ لِمَ طلبَت من ليس غودوين مُهاتفَتَها!

-19-

«تُريدينَ المبلغَ نقداً» قالَ المُحاسِبُ برَيب.

«أحتاجُهُ من أجلِ الذهابِ في رحلة» لم تَدرِ لِمَ ابتَدَعت ذلك. «إلى المكسيك، غوادالاجارا».

«هل تُريدينَ أن أصرِفَ لكِ المبلغ بصورةِ شيكّات سياحية؟»

«بل نقداً» قالت. ولمّا سلّمها المُحاسِبُ المبلغَ، هرَبَت من البنكِ مُسرعةً والأوراقُ النقديّة ما تزالُ في يدِها.

وفي مركبتِها، عدَّت المبلغ. وكانت بعضُ الأوراقِ ملتصقَةً ببعضها، ولذلكَ فوّتت عدّ عدّة أوراقٍ فأعادَت العدّ ثانيةً، وثالثةً ورابعة حتّى تأكّدت من تمامِ المبلغ. ظلّت منذ الصباحِ الباكِرِ تُحاوِلُ استذكارَ شيءٍ أخبرَها بهِ ليس غودوين، أيّ شيء. ولأنّها لم تعُد تتحدّثُ معهُ الآن مثلما كانت في الماضي، فصارَ من الصعبِ تمييزُهُ عمّن سواه – ممّن ضاجَعَت أو أوشَكَت أن تُضاجِع أو رفَضت أن تُضاجِع أو رغِبت في أن تُضاجِع. بدا لها في هذا الشهرِ الذي يوشِكُ على الفواتِ، أنْ لا فرقَ بينَهُم، كأنّهُم شخصٌ واحِد. وكأنَّ حياتَها كلّها كانت عبارة عن مُضاجعة واحِدة فقط، مُضاجَعَة مأمولةٍ واحِدة، لا مُضاجعات سابقة ولا مضاجعات لاحقة، بل مضاجعة واحِدة فقط لا غايةَ أبعَدَ لها سوى ذاتِها. حاولت أن تتذكّرَ كيفَ كانت تجوبُ شارع فيرمونت في فيغاس بصُحبةِ إيرل لي أتكينز عندما كانت في السادسة عشرة من عُمرها، وكيفَ كانت تذهبُ إلى الصحراءِ بينَ فيغاس وبولدر لتشربَ الخمرَ من العُلَبِ الرخيصة وتشعُرَ بسَفعةِ الشّمسِ فوقَ جِلدِها كلّما لمَسَها بيَدِهِ، وتشُمَّ

رائحةَ الكلور في شعرِها وصابونَ اللافا في شعرِه ورائحةَ العَرَقِ في القُطن.
بثَّ المذياع أغنية «يا لعُلوّ القمر!» لِليس بول وماري فورد. حاولت أن تتذكّر إيفان كوستيللو، وحاولت استذكارَ كيفَ تسلّل الضوءُ من بينِ درفات نوافِذِ حُجرة نومِهِ في نيويورك، واستذكارَ لونِ الملاءات المخطّطة التي وضعَتها على سريرِهِ وكيفَ بدَت تلك الملاءاتُ في ضوءِ النهار، واستذكارَ إطلالة الغُرفة الفندقيّة التي أمضيا فيها أسبوعاً كاملاً في ماريلاند. حاولت أن تتذكّرَ كارتر. حاولت أن تتذكّر ليس غودوين. ونجَحَت في تذكّرِ كلّ شيء، ولكنَّ كُلَّ تلكَ الذّكرياتِ كانت عبثيّة وغيرَ ذات معنى! أحسَّت بأنَّ الحُلُمَ انتهى، بينما هيَ ما تزالُ نائمة.

-20-

«أنا بخير» قالت لِـليس غوذوين عبرَ الهاتف.

«أنا أعلمُ أنّكِ لستِ بخير»

«بل أنا بخير»

«حسناً» قالَ أخيراً. «لا بأس. سوفَ أعودُ وحدي يومَ الإثنين، نلتقي لاستقبالي في تمامِ الساعة الرابعة».

«لا أستطيع»

«أريدُ أن أتحدّث معكِ يا ماريا. أريدُ أن أراكِ»

«الإثنين مساءً» قالت. «اسمع. أنتَ تُبهِجُني».

أنهَت المكالمةَ سريعاً لأنّها لم تُرِد أن تبوحَ لهُ بسببِ عدمِ قُدرتها على استقبالهِ في المطار.

-21-

في حُلُمِها، الذي أيقظَتها منهُ رنّةُ الهاتفِ ليلتها، تخيّلَت أنّها أنجبَت طفلَها.. وأنّها تعيشُ هيَ وهوَ وكيت في الشارعِ الغربيّ الثاني عشر برفقةِ إيفان كوستيللو. في الحُلُم، رأت أنّها لم تكُن تعرفُ كارتر على الرغمِ من أنّهُ أعطاها ابنتهُ برِضاه. في الحُلم كانَ كلّ شيءٍ على خيرِ ما يُرام. هيَ افترَضَت أنّها حلُمَت بِإيفان كوستيللو لأنَّ الهاتفَ كانَ يرنّ وهوَ كانَ يُهاتِفُها عادةً في منتصفِ الليل. «هل ترغبينَ في ذلكَ بشدّة؟» كانَ يقول. «قولي لي، ما الذي ستمنحينني إيّاهُ مقابل ذلك». كانَ الهاتف ما يزالُ يرنّ، فما كانَ منها إلّا أن انتزَعَت القابس. لم تنجَح في تذكّرِ ما كانت تمنحُهُ لمعشوقيها مُقابلَ مُضاجعتِهِم إيّاها.

-22-

«يجبُ أن تحجزي موعداً قبلَ مجيئكِ» قالت الممرضةُ المسؤولةُ عن كيت، يومَ الأحد. كانَ شعرُ الممرضةِ قصيراً ولها شارِبٌ باهتٌ، وكانت كبيرة متعلّقةً برُكبتَيها، فأبغضَتها ماريا. «إن الدواءَ الجديد، والعلاجَ الجديد، لا يسمحُ..»

«أيّ دواءٍ جديد؟» سمِعَت ماريا نفسها تسألُ الممرضة. «لا تفتشين تذكُرينَ الدواءَ الجديد. أريدُ أن أعرفَ ما هو».

صرَخَت كيت. ونظَرَت الممرضةُ نحوَ ماريا مؤنّبَةً. «ميثيل فينيدات هايدروكلورايد».

أغمضَت ماريا عينيها. «حسناً. الحقّ معكِ».

«كُنّا سنقترحُ عليكِ أن تؤجّلي زيارتَكِ إلى الأسبوعِ القادم».

«لن أكونَ هُنا الأسبوعَ القادم».

«سترحلين؟»

«إلى كوزوميل» قالت ماريا. «المكسيك».

في طريقِها إلى المرأب، عادت مرّتينِ -مُختلقةً أعذاراً واهيةً- فقط لتُقبّل يدَي كيت السّمينتين، ولتُوصيها بأن تكونَ بنتاً مطيعة. ولمّا عادت في المرّة الثالثة، وجدَت الممرضة ولم تجِد كيت.

«أمرٌ أخير. عندما تستيقِظُ كيت ليلاً وتقول: ويز، ويز، فهذا يعني أنّها..» تلعثمت ماريا. فقد أدركَت بغتةً أنّها من المتوقّعِ أن تموت أثناءَ العمليّة. كانت تتوقّعُ أن تموت تماماً مثلما كانت تتوقّعُ أنّها إن ركِبَت الطائرةَ وهيَ

حزينةٌ أو متشائمةٌ فلا بدّ أن تتحطّم بها الطائرة، ومثلما كانت تعتقِدُ جازمةً أنّ الزواجَ دونَ حُبٍّ لا بدّ مُنتهٍ بإصابتها بسرطانِ عنقِ الرّحِم، وأنَّ الزنا لا بدّ مُسبّبٌ حوادث مميتة لأطفالها. لم تكُن ماريا تؤمِنُ بالثواب، بل كانت تؤمنُ فقط بالعِقاب السريع. «يعني أنّها رأت كابوساً» قالت أخيراً.

نظَرَت إليها الممرضةُ دونَ اهتمام.

«أعني أنّني لا أدري ما إذا كُنت أخبرتُكِ بهذا الأمرِ سابقاً أم لا»

«أنا واثقةٌ من أنّكِ أخبرتِني به» قالت الممرضة.

ليلتَها، اهتزّ المنزلُ بفِعلِ البرق الشديد. وهبَّت ريحٌ حارَّةٌ في منتصفِ الليل، فغطّت أوراقُ الشّجَرِ السواتِر، وطارَ غطاءُ خزّانٍ تجميعِ مياهٍ وارتطَمَ بسطحِ المنزل. في وقتٍ ما ليلتَها، كتبَت ماريا ثلاث رسائل، غيرَ أنّها مزّقَتها قبلَ بزوغِ الفجر وألقَتها في المرحاض ودَفَقت الماءَ فيه. ظلّت بعضُ القصاصات طافيَة.. وظلّت ماريا تدفقُ الماءَ حتّى اختفت كلّ القصاصاتِ مع الشروق. في حديقة المنزل، كانت كلّ الأقحواناتِ قد اقتُلعَت بفِعلِ الريح، وكانت الأرضيةُ حولَ بركة السباحةِ مفروشةً بسعفِ النخيل الذي أسقَطَتهُ الريحُ أيضاً. وفي الساعة السادسة والنصف من صباحِ ذلكَ اليوم، حاولت مهاتفةَ كارتر في نُزُلهِ في الصحراء، ولكنّ كارتر كانَ قد غادرَ النُّزُلَ إلى موقِعِ التصوير. رأت في ذلكَ إشارةً لها، ولذلكَ لم تُهاتِفهُ في موقِعِ التصوير. سوفَ تفعلُ ما يُريدُ لها أن تفعل. سوفَ تفعلُ هذا الأمر، وسوفَ تكونُ هذه آخرَ مرّةٍ تفعلُ فيها ما يُمليهِ الآخرونَ عليها، وبعدها لن يجرؤوا على حشرِ أنوفِهِم في حياتِها مجدداً.

-23-

حاوَلت إصلاحَ أحدِ الجوارير، ولكنّها يئِسَت فتركَتهُ على حاله. استمعَت في المذياع إلى تقاريرَ عن بعضِ الحرائق، ووجّهَت رشاشاتِ الماء في حديقتِها إلى عُشب اللبلاب. ثمَّ أمضت ساعتينِ تتصفّحُ عددَ مجلّة فوغ كانت قد جلبتهُ من عند بركةِ السباحة، وكانَ تركيزُها منصبّاً على تفاصيلِ الحياةِ في نيويورك وروما كما روَتها زوجةُ رجُل صناعة إيطاليّ. كانَ لتلكَ الإيطاليّة هدفٌ واضحٌ في الحياة، وبَدَت ممّن يتخّذونَ القراراتِ ويلتزمونَ بها.. ولذلكَ تمعّنَت ماريا بصُوَرِها كأنّها تبحثُ عن مِفتاحٍ تفتحُ بهِ ما غُلّقَ أمامها من أبوابِ الحياة. ولمّا أنهَكَت عددَ المجلّةِ تأمّلاً، أخرجَت دفترَ شيكاتِها ورُزمةً من الفواتير المتراكمة عليها وبسَطتها أمامها على طاولةِ المطبخ. كانَ سدادُ الفواتيرِ يوهِمُها، أحياناً، بأنَّ حياتَها منظّمة، بيدَ أنّها كانت كُلّما فتحت فاتورةً أدركَت الحقيقة، وهيَ أنَّ حياتها فوضى عارِمة: أزهارٌ أرسلَتها إلى أناسٍ لم تشكُرهُم في الحفلات، وملاءاتٌ ابتاعتها لأَسِرّةٍ لا ينامُ عليها أحدٌ الآن، وفاتورةٌ من متجر ألعاب فاو شوارتز لدرّاجةٍ ثلاثيّة لم تركَبها كيت قطّ. عندما كتبَت الشيك بالمبلغ المترّتب عليها لمتجر شوارتز، كانت يدُها ترتجف بشدّةٍ حتّى إنّها اضطرّت لإتلاف الشيك الأوّل، ثمَّ أشعَلَت سيجارةً وكتبَت شيكاً آخر.

«اكتبيهِ بدقّة يا ماريا» قال الرجُلُ عبرَ الهاتف. «هل معكِ قلمُ رصاص؟ مُستعدّةٌ للكتابة؟»

«نعم» قالت ماريا.

«طريق فينتورا شمالاً. هل كتبتِ؟ تعلمينَ أيّ مخرجٍ ستسلُكين؟»

«نعم. كتبتُ العنوانَ كلّه»

«حسناً إذاً. سألتقيكِ في مرأبِ ثريفتيمارت».

«أيّ ثريفتيمارت؟»

«ماريا، سبَقَ أن أخبرتُكِ. ستعرفينه فوراً. عند حرفِ الـ (ث) الأحمر الكبير».

بعدَ مرورِ موجةِ الريحِ العاتية، صارَ الهواءُ جافاً، وحارِقاً، وصافياً وساكِناً حتّى لتكادُ ترى الشقوقَ المحروثة في الجبالِ البعيدة. حتّى أشجار النخيل الطويلة كانت ساكنة. وبدا سكونُ الهواءِ وصفاؤهُ العجيب كأنهما يسلبان من الأشياءِ رونَقَها، ويُشوّهان إدراكَ المرءِ لعُمقِها، وكانت ماريا تقودُ مركبتها في ذلكَ الجوّ بحذرٍ شديدٍ كأنّها تستكشفُ أرضاً لا جاذبيّة فيها. برزَت أمامها لافتاتُ محالّ تاكو بيل، وأحدَثَ مُحرّكُ المركبةِ صريراً مشؤوماً. وقبلَ أن تصِلَ ثريفتيمارت بعدّةِ أميالٍ تمكّنت من رؤيةِ حرف الـ (ث) الأحمر الكبير، وكانَ حرفاً يتيماً كبيرَ الحجمِ مُضاءً بغرابةٍ تحتَ ضوءِ سماءِ الظهيرةِ الصافية.

-24-

«قودي أنتِ» قالَ الرجُل. «وسوفَ آتي لأخذِ مركبتي لاحقاً».

كانَ يرتدي بنطالاً أبيضَ اللون، وقميصاً رياضياً أبيضَ اللون، وكانَ وجههُ دائرياً وجسدُهُ بالغَ النعومةِ كأجسادِ الخصيان. وكانت يدهُ المُستريحةُ على رُكبتِهِ شاحبةً ونَمِشة ورقيقة، ومنذ ركِبَ معَ ماريا ظلَّ يُدندِنُ أغنية «أنتِ تُهيّجينني».

«هل تعرفينَ هذه المنطقة يا ماريا؟»

بدا السؤالُ مُحمَّلاً بمعنىً أبعد. «لا» قالت أخيراً.

«البيوتُ هُنا أنيقة. وهيَ مناسبةٌ للأطفال» كانَ صوتُهُ لامبالياً، ومُداهِناً. كانَ هوَ الصوت الذي سَمِعَته عبرَ الهاتف. «اسمحي لي أن أسألكِ سؤالاً»

أومأت ماريا برأسِها موافقةً، وأحكمت قبضتَها على المِقوَد.

«هل تستهلِكُ مركبتُكِ هذه وقوداً كثيراً؟ أم لا؟»

«وقوداً كثيراً» سمِعت نفسَها تقول بعدَ صمتٍ قصير. «إلى حدّ ما».

«لا بدّ أنكِ لاحظتِ أنّ لديّ مركبة كاديلاك، إلدورادو. وهي تلتهِمُ الوقودَ التهاماً، ولكنّني أحبّها.. وأحبُّ قيادتَها»

لم تنبس ماريا بكلمة. كانَ ذلكَ هوَ السؤالُ إذاً! السؤال الذي لم تُخطئ فَهمه.

«إن أنا قرّرتُ يوماً التخلُّصَ من الكاديلاك» قال. «فسوفَ أبتاعُ بدلاً منها مركبة كامارو. ربّما تكونُ الكامارو أقلّ شأناً من الكاديلاك، ولكنّني أتطلعُ

لابتياع مركبة كامارو معيّنة، وهيَ نُسخةٌ طبق الأصلِ عن المركبة السريعة في فيلم إنديانابوليس 500».

«تُريدُ أن تبتاع مركبة كامارو» قالت ماريا بنبرةٍ لامبالية كنبرةِ المُعالجينَ النفسيين.

«إن حصّلتُ سعراً مناسباً، فسأبتاعُها. ولديّ صديقٌ سيُرتّبُ لي صفقةً جيّدةً في حال بَقيَت المركبةُ برسمِ البيعِ مدّة أطول. فقد كادت تُباع الأسبوع الماضي، ولكنّ الحظّ حالفني- هُنا يا ماريا، أوقِفِي المركبةَ في هذا الطريق».

أطفأت ماريا المُحرّك وحَدَجَت الرجُلَ ذا البنطالِ الأبيض بنظرةِ اهتمام متوتّرة. في الدقائق القليلة الماضية غيَّرَ الرَّجُلُ استيعابَها للواقِع: فباتت لا ترى نفسَها امرأةً ذاهبةً لإجهاضِ طفلِها، بل امرأةً تُوقِفُ مركبتها الكورفيت قبالةَ بيتٍ بينما الرجُلُ ذو البنطال الأبيض يتحدّثُ عن شراءِ مركبة كامارو. لا أكثر. «حالفَكَ الحظّ في ماذا؟»

«حالفني الحظّ في أنَّ الشّاري لم يتوفّر على المبلغ المطلوب لابتياعها».

-25-

كانت أرضيّةُ حُجرةِ النومِ التي حدَثَ فيها الأمرُ مُغطّاةً بالجرائد. تذكَّرَت أنّها قرأت ذاتَ مرّةٍ أنّ الجرائِدَ مُعَقِّمَة، وذلكَ بسبب الكيماويّات الموجودة في الحِبر، وأنَّ من الجيّدِ إنجاب طفلٍ في منزلٍ ريفيٍّ أرضيّتهُ مغطّاةٌ بالجرائد. كما أنَّ هُنالِكَ فائدةً أخرى للجرائد، فائدة غير متوقّعة، وهيَ حيلةٌ تنفعُ في وقتِ الطوارئ: فيُمكننا أن نستخدمَها كبطّانيات. ففي وقتِ الطوارئ، يُمكننا إلصاق الجرائد بالبطانيات القطنية وبذلكَ تصيرُ لدينا بطانيات أكثر دفئاً. لقد كانت حياة ماريا كلّها عبارة عن طوارئ. ولذلكَ كانَ بإمكانها التأقلم على أيّ شيء. كانَ كارتر غيرَ قادرٍ على التأقلم، بينما كانت هيَ قادرة عليه. لم تستطع أن تتذكَّر أينَ تعلّمت كلّ تلكَ الحِيَل. ربّما من كِتاب *الصليب الأحمر الأمريكي* الخاص بأمّها، وقد كانَ لونُ غلافِهِ رمادياً ويتوسّطُهُ صليبٌ أحمرُ اللون. كانت تلكَ ذكرى جميلة من طفولتِها، لو أنّها كانت قادرةً على مَحو ذِكرى أبيها فقط من ذلكَ المشهد. لو أنّ تركيزَها كانَ مُقتصراً فقط على نفسِها، ولو لدقيقةٍ واحدة، وهي بِنتُ عشرةِ أعوامٍ تجلسُ على عتباتِ بيتِها الأماميّة في سيلفر ويلز تقرأُ كِتابَها الرماديّ ذا الصليبِ الأحمرِ اللون (كيفيّة تجبير الكسور، وعلاج الصدمات، وعلاج لدغات الأفاعي – وقد كان سببُ رغبةِ أمّها في أن تقرأ ماريا الكتاب هوَ أن تتعلّمَ طريقة علاجِ لدغات الأفاعي) وتنظُرُ إلى الضوءِ المنعكسِ عن السقفِ الصفيحيّ المموّج للكوخِ الواقعِ في الجهة المقابلة للبيت (كانَ أبوها ممحيّاً من ذلكَ المشهد، فليَبقَ كذلك، ولنقُل إنّهُ كانَ ساعتئذٍ في فيغاس بصُحبةِ بيني أوستن)، لو أنّها كانَت قادرةً على التركيزِ، لدقيقةٍ واحدةٍ أخرى، على ذلكَ الكوخ، وعلى ما إذا كانَ

الضوءُ ما يزالُ منعكساً عن سقفِهِ حتّى هذه الدقيقة بعدَ مرورِ عشرينَ عاماً على ذلكَ المشهد. دقيقتان. في تلكُما الدقيقتينِ كانت ماريا غيرَ واعية تماماً بما كانَ يحدُثُ في حُجرةِ النومِ تلكَ في إينسينو.

دقيقتينِ في سيلفر ويلز، ودقيقتينِ هُنا، ثمّ دقيقتينِ هُناك.. وكادَ ما يحدُثُ في حُجرةِ النومِ في إينسينو على وشكِ الانتهاء، فما كانَ ليستمرّ إلى الأبد. كانت جُدرانُ الحُجرةِ مَكسُوَّةً بورقٍ أصفَر مُتواضِعِ النَّمَط. يبدو أنَّ من اختارَ ذلك الورقَ مِن مُحبّي الأثاثِ المصنوع من خشبِ القيقب: فلا بدَّ أن حُجرةَ النومِ هُناكَ كانت مصنوعةً من خشبِ القيقب، ولا بدّ أنّ غطاءَ السرير كانَ من قماش الشنيل الأبيض، ولا بدّ أنّ الهاتِفَ كانَ من نوعِ «الأميرة» أبيضَ اللونِ أيضاً. لم تكُن أيٌّ من تلكَ التفاصيل موجودة، ولكنَّ ماريا كانت واثقةً من أنّها لا بدّ كانت موجودة، وكانت تحسُّ كأنّها ترى المرأةَ التي اختارت ورقَ الجُدران.. وكانت واثقةً من أنّ تلكَ المرأة لا بدَّ أنها كانت زبونةً لدى متجر أودوبون لورقِ الجُدران، وكانَ قلبُها غاصّاً بآلامِ علاقاتٍ جنسيّة سريّة، وكانت زَوجةَ رجُلٍ ما. دقيقتينِ في سيلفر ويلز، ودقيقتينِ مع ورقِ الجُدران.. لن يستمرَّ الأمرُ إلى الأبد. كانت الطاولةُ طاولةً طبّية، بيدَ أنّها لم تكُن مُجهّزَةً بالرّكابِ الطبيّة بل كانَ هُنالكَ كُرسيّانِ مَربوطة بظَهرِ كُلّ واحِدٍ منهُما وسادة. «أخبريني إن أحسستِ أن الجوّ هُنا بارد أكثرَ ممّا ينبغي» قال الطبيب. وكانَ طبيباً طويلاً ومهزولاً يرتدي مئزراً مطّاطياً. «أخبريني الآن، لأنّني عندما أبدأ العمليّةَ لن أستطيعَ لمسَ جهاز تبريد الهواء»

قالت إنّ الجوَّ ليسَ بارداً أكثرَ مما ينبغي.

«لا. بل هوَ باردٌ أكثرَ مما ينبغي. أنتِ لم تُجيدي وصفَ الجوّ. هوَ باردٌ للغاية»

عدَّلَ الطبيبُ الحرارةَ، بيدَ أنَّ صوتَ الجهازِ بقيَ على حاله. أغمضَت ماريا عينَيها وحاولَت أن تصُبَّ كُلّ تركيزِها على ذلكَ الصّوت. لم يكُن كارتر يُحبّ مبرّداتِ الهواء، ولكن كانَ لديهِما مُبرّد.. السؤالُ هوَ أينَ كانَ ذلكَ المبرّدُ موضوعاً؟ لا فائدةَ من السؤال! «لا تقلقي، هذا حيضٌ مُصطنَع» سَمِعت الطبيبَ يقول. «لا تفكّري في الأمر، ولا تقلقي بشأنه، فإنَّ الألَم يشتدّ

عندما نصُبّ تركيزنا عليه، أنا لا أحبُّ التّخدير الكُلّي لأنّهُ يجلِبُ المشاكل، ولذلكَ لم أخدّر سوى عُنُق الرّحم.. استرخي يا ماريا.. قُلتُ لكِ استرخي»

ليست هُنالك لحظةٌ مميزةٌ، أو أكثر أو أقلّ أهمّية من اللحظات الأخرى. فكُلّ اللحظات متشابهة. والألَمُ الذي غزَاها أثناءَ عمَلِ الطبيبِ لم يحمِل معنىً مُتجاوِزاً، ولم يكُن نمطُ حياتها -في تلكَ اللحظة- أكثرَ تنظيماً من حياةِ أبطال الفيلم الذي كانَ معروضاً في تلفاز حُجرةِ الجلوس في ذلكَ المنزلِ في إينسينو. كانَ الرجُلُ ذو البنطالِ الأبيض جالساً هُناكَ يُشاهِدُ الفيلم، بينما كانت هيَ مستلقية في حُجرةِ النومِ لا تُشاهِدُ الفيلم.. كانَ ذلكَ هوَ المشهد كُله، ولم يكُن لهُ أيُّ معنى مُتجاوِز. لماذا ارتَفعَ صوتُ الآلة فجأةً؟ يجبُ ألّا يُطرَحَ هذا السؤال. «هل تسمعينَ صوتَ تنظيفِ الرّحِمِ يا ماريا؟» قال الطبيب. «يجبُ أن ينزِلَ هذا الصوتُ على مسمعِكِ كأنّهُ موسيقى... لا... لا تصرُخي يا ماريا... هُنالكَ جيرانٌ قد يسمعوننا... أوشكتُ على الانتهاء... شارَفت... من الأفضل أن أنظّف كلّ شيءٍ الآن على أن أنظّفَهُ بعدَ شهرٍ من الآن... قُلتُ لكِ لا تُحدثي أيّ ضجّة يا ماريا... الآن سأخبِرُكِ بما سيحدُث. ستحيضين ليوم أو يومين، ولن تكونَ حيضتُكِ غزيرة، بضع بُقَع فقط... ثمَّ بعدَ شهرٍ من الآن، أو ستّة أسابيع، ستحيضينَ كالعادة وتعودُ الأمورُ إلى مجاريها. هذا الشهر لن تحيضي، فقد حفّزتُ فيكِ الحيضَ قبل قليل، وها هوَ دمُ حيضِكِ في هذا الجردل»

ذهبَ الطبيبُ إلى الحمّام بعدها (لاحِقاً ستُحاولُ ماريا استذكارَ تفاصيل مغادرتِهِ لحُجرةِ النوم، واستذكارَ ما إذا كانَ أخذَ الجردلَ معهُ أم لا. لاحقاً ستغدو هذه الذّكرى في غايةِ الأهميّة بالنسبةِ لها) ولمّا عادَ كانت تقلُّصاتُ الرّحِمِ لديها قد توقّفَت. ناولَها الطبيب مُغلّفاً فيهِ حبوبُ تترسيكلين، ومُغلفاً آخر فيهِ حبوبُ أرغوت.. وبحلولِ الساعةِ السادسةِ من عصرِ ذلكَ اليومِ التشرينيّ الحارّ، كانت قد غادرت حُجرةَ النومِ في إينسينو وجلَسَت في مركبَتِها بصُحبة الرجُل ذي البنطالِ الأبيض. بدَت شمسُ الغروبِ دافئةً على جِلدِ ماريا ورؤوفةً بِه، وبدا كُلّ شيءٍ وقَعَت عينُها عليهِ جميلاً، وبدت الحياةُ نابضةً بدفء الصّيف. ولمّا تحرّكَت بمركبتِها خارجَ المرأب، نظَرَت إلى الرجُلِ وارتسَمَت على شفتيها ابتسامةٌ وضيئة.

«فاتَكِ فيلمٌ جميل جداً» قال. «من بطولة باولا رايموند». مدَّ يدَهُ في جيبِه ليُخرِجَ حاملةَ سجائر. «لم أنفكَّ، منذُ أقلعتُ عن التدخينِ، أجمعُ حاملاتِ سجائر مثل هذه. قد تبدو لكِ حاملةَ سجائر عاديّة، ولكنّها عندما تُدخّنينَ فيها لن تُدخِلَ إلى رئتيكِ سوى الهواء النقيّ».

حدّقَت ماريا في يدِهِ الممدودة.

«خُذيها. لاحظتُ أنّكِ ما زلتِ تُدخّنين. ستشكُرينني ذاتَ يوم»

«شُكراً لك».

«ما أنا إلّا مُبشّر عاديّ». عدّلَ الرجُلُ ذو البنطالِ الأبيض جلسَتهُ، وحدّقَ في الأفقِ من نافذةِ المركبة. «ياللمسيح! باولا رايموند.. يالها من فتاةٍ فاتنة!» قال. «عجبي أنّها لم تُصبِح نجمةً بعد».

-26-

«أريدُ شريحةَ لحمٍ كبيرة جداً» قالت لِليس غودوين في أحدِ المطاعِم في ميلروز في تمام الساعةِ الثامنة ليلتَها. «قبلَ شريحة اللحم الكبيرة جداً أريدُ أن أحتسي ثلاثة كؤوسٍ نبيذ، وبعدَها أريدُ الذهابَ إلى مكانٍ يضجّ بالموسيقى الصاخبة».

«مثلَ أين؟»

«لا أدري. عليكَ أن تعرِفَ أين. فأنتَ تعرفُ عدّة أماكن تضجُّ بالموسيقى الصاخبة».

«ماذا دهاكِ!»

«أنا فقط مُنهكةٌ جداً جداً جداً من الاستماعِ إليكُم!»

-27-

استحوَذَت سيلفر ويلز على فِكرِها مجدّداً. رغِبَت في أن ترى أمّها. ورغِبَت في العودةِ إلى آخِرِ يومٍ أمضتهُ بصُحبةِ أمّها: وكانَ يومَ أحد. كانت قد سافَرَت إليها بالطائرةِ من نيويورك يومَ جُمُعةٍ والتَقَتها يومَ أحدٍ – وكانَ بيني أوستن مدعوّاً هُناك لتناول عشاءِ الأحَد، وبعدَ العشاءِ ذهبوا جميعاً بالمركبةِ إلى فيغاس كي يوصِلوا ماريا إلى المطار.

«أمّكِ بخير، لا تقلقي بشأنها» همَسَ بيني عندما انفرَدَ بِماريا للحظةٍ عند الطاولة. «صدّقيني، ليسَ ما فيها خطباً جللاً».

«ليسَ خطباً جللاً؟ ما هوَ؟»

«لا شيء يا ماريا! هذا كلّ ما أحاولُ إخبارِكِ به. قد تكونُ أمّكِ تعاني من اكتئابٍ طفيف، ووالدُكِ لا يُريدُ إطلاعَ أحدٍ على هذا الأمر».

«اكتئاب!» كرّرت ماريا.

«ليسَ خطباً جللاً يا ماريا، صدّقيني. ها هُم قد أتوا! كُنّا نتحدّثُ عن الزنك» تنحنَحَ بيني. «كُنتُ أحدّثُ ماريا عن الزنك يا هاري».

«هل أنت مهتمٌّ بالزنك؟» قالت ماريا أخيراً. كانت تتأمّلُ أمّها، ووجدت أنّ أمّها لم تتغير.

«لقد حصلنا على حقوقِ بيعه» بدأ هاري وايِث يُصفّر.

«لقد كانت الوجبةُ فاخرةً جداً» قالَ بيني. «فرانسين، يُمكنُ أن تُدرّ عليكِ تجارةُ أضلاع اللحومِ ثروة».

ضحِكَت فرانسين وايث. «يُمكننا –أنا وماريا– افتتاحُ متجرٍ للحمِ المهروس. عندما نضجَرُ من صُحبتِكُم!».

«متجرُ لحمٍ مهروس هُنا في 95» قالَ هاري وايث. «يالهُ من تفكيرٍ جميل!»

«ليسَ هُنا في 95» قالت فرانسين وايث. «بل في مكانٍ آخر».

أغمضت ماريا عينيها.

«أنا أتحدّثُ عن إدارةِ الكميّات. وعن إدارةِ البضائع. بحيث نُكري اسمَنا مقابلَ عمولة» قالَ بيني أوستن وكأنَّ شيئاً لم يحدُث، وكلِمةً لم تُلقَ منذ قليلٍ عند الطاولة. «الخدمات بالوكالة. المستقبلُ كلّهُ لها».

«لا أريدُ أن أعود» قالت ماريا.

«هذا طبيعي» قالَ هاري وايث دونَ أن ينظُرَ إلى زوجتِهِ أو ابنته. «هذا طبيعيّ جداً. لا تفكري في ذلك، سوفَ تُغادرينَ خلالَ شهرٍ أو شهرين، ولكن خطّطي لذلكَ الآن»

«إنّها مهزولةٌ للغاية» قالت فرانسين وايث. «انظر إليها، تأكّد بنفسِك!»

«لن تستطيعَ النجاحَ ما لم تكُن معنا هُنا يا فرانسين!» قال هاري وايث، وألقى منديلَهُ على الطاولةِ ونهَض. «لن تفهمي ما أقول!»

ليلتَها، عندما سارَت الطائرةُ في ممشى مكّارين، كانت ماريا مُلصِقَةً رأسَها بنافذةِ الطائرة حتّى تراهُم، وكانوا جميعاً: أمّها وأبوها وبيني أوستن، يُلوّحونَ للنّافذةِ الخطأ.

-28-

«هيلين ذاهبةٌ إلى ببل بيتش لقضاءِ عُطلة نهاية الأسبوع برفقةِ والدة بي زي» قالَ كارتر لمّا هاتَفَ ماريا من الصحراء. «لِمَ لا تُسافرين بالطائرة لتلتحقي بها هُناك».

«لا أستطيع»

«مُنشغلةٌ جداً حسبما أظنّ؟»

لم تنبس ماريا بكلمة.

«أم ربّما تخافينَ من قضاءِ وقتٍ ممتع؟»

«قُلتُ لكَ لا أستطيع»

«ولِمَ لا تستطيعين، أخبريني.»

«لأنّها ليست أمّي!» قالت ماريا.

-29-

بدأت حيضتُها بعد مرورِ عدّة أسابيع. «ليسَ أمراً مقلقاً» قالَ الطبيب في ويلشاير عندما زارتهُ أخيراً. «أيّاً كانَ من أجرى العمليّة، فقد أجراها بإتقان. كُلّ شيءٍ نظيفٌ، ولا عدوى. فلتحمدي الله على نعمائه»

«والألم؟»

«هوَ بسببِ الحيض المبكّر فقط. وسأصرِفُ لكِ حبوبَ إيدريسال».

لم يُجدِ دواءُ إيدريسال، ولا الدواءُ الآخَر: دارفون الذي وجدتهُ في المرحاض، نفعاً. فنامَت ليلتَها وإلى جانِبِها قنّينةُ نبيذ. لم يبدُ لها الأمرُ مجرّد حيضٍ مبكّر. وتمنّت لو كانَ بمقدورِها أن تُهاتِفَ أمّها.

-30-

«لديّ نبأ جديد» قالَ فريدي شايكين بعدما أحضرَ النادِلُ لِماريا مشروبَ بلودي ماري، ولهُ قنّينةَ ماء بيريه. «لم أشأ أن أزفّهُ لكِ قبلَ أن يتأكّد. إنَّ مورتي لانداو -مثلما كُنتُ أتوقّع- مُغرمٌ بكِ. ولذلكَ حظيتِ بدَورٍ بطولةٍ جزئيّةٍ في مسلسل الطريق السريع 80».

«هذا جيّدٌ يا فريدي» قالت مُحاولةً أن تبدو أكثر إقناعاً. «هذا جيّدٌ حقاً».

شاهَدَها وهيَ تشربُ كأسَها عن آخرِها. «سوفَ يُبلغونَكِ بدَورِكِ في المسلسل قريباً».

«الحقُّ أنّي لستُ على خيرِ ما يُرام حالياً».

«تعنينَ أنّكِ لا تودّينَ العمَلَ في المسلسل؟»

«لم أقُل ذلك. بل قُلتُ إنّني لستُ في خيرِ ما يُرام حالياً».

«أنا متعاطِفٌ معكِ يا ماريا. وما تمرّينَ بهِ أنتِ وكارتر يُمزّقُ قلبي. صدّقيني، فقد مررتُ بما تمرّانِ بهِ الآن. ولذلكَ أعرِفُ أنّ العمَلَ هو الدّواءُ الأنسبُ لعِلَل الحياةِ الخاصّة. لا أريدُ أن أبدو كأنّني وكيلُكِ الفنّي، ولكنَّ العَوَزَ وقلّة الدّخلِ لن يُمكّنَاكِ من دفعِ فاتورةِ المشروب». ضحِك، ثمَّ نظرَ إليها. «إنّما أداعبُكِ يا ماريا. هذه محضُ دُعابة!»

-31-

جاءَها الحيضُ وذهَب، ثمّ مرّةً أخرى. وبحلولِ عصرِ يومِها الثالث من العملِ في *الطريقِ السريع 80*، دهَمَها صُداعٌ غريبٌ فلَم تقوَ على الوقوفِ لأكثرِ من بضعِ ثوانٍ. جَلَسَت في مؤخّرةِ موقعِ التصوير بينَ الظلال، وتضرّعَت إلى الله أن يتأخَّرَ المصوّرونَ في تجهيزِ المشاهدِ المتبقيّة، حتّى يؤجّلَ ما تبقّى إلى صباحِ اليوم التالي. ولكنّهُم في الساعة الخامسةِ والنصف بدؤوا بتصويرِ المشهدِ في ثلاث لقطاتٍ، وعندما وصلَت -لاحقاً- إلى المرأب لم تقدِر على استذكارِ المشهد.

وبحلولِ منتصفِ تلكَ الليلة، عادَ إليها الحيض غزيراً، حتّى إنّ الدَّمَ ملأ ثلاث فُوَطٍ في غضونِ خمس عشرة دقيقة. لطَّخَ الدّمُ السريرَ والأرضيّةَ وبلاطَ الحمّام. فكّرَت في مهاتفةِ ليس غودوين -لا بأسَ في مهاتفتِه، فقد كانت واثقةً من أنّ فيليسيا في سان فرانسيسكو- بيدَ أنّها لم تفعل. هاتَفَت كارتر.

«هاتِفي الطبيب» قالَ كارتر.

«لا أريدُ أن أهاتِفه»

«كُرمى للمسيح! اذهبي إذاً إلى قسمِ الطوارئ في أقربِ مشفى»

«لا أستطيع» قالت أخيراً. «لأنَّ لديّ عملاً صباحَ الغد»

«ماذا تعنين بِعمَل! ما أهميّةُ العمَل الآن بحقّ الجحيم! لقد أخبرتِني للتوّ أنّكِ تحتضرين!»

«لم أقُل ذلك!»

«قُلتِ إنّكِ مذعورة»

لم تنبس ماريا بكلمة.

«بحقّ المسيح يا ماريا! أنا الآنَ في الصحراء، وما بيدي حيلة. أرجوكِ! هلّا ذهبتِ إلى المشفى، أم تُريدينني أن أهاتِفَ الشُّرطةَ كي يأتوا ليصطحبوكِ إلى هُناك؟»

«ما تُريدُني أن أذهبَ إلى المشفى إلّا كي أنجو من الهلاكِ فلا تشعُرَ بالذّنب» قالت. نطَقَت بتلكَ الكلماتِ قبلَ أن تقرّرَ الكلام، ولمّا سمِعَت الكلماتِ وقد تسلّلَت من فمِها فزِعَت وبدأت تتعرّقُ بغزارة. «اسمع» قالت. «لم أعنِ ما قُلت. أنا مُتعبة جداً. اسمع. سوفَ أهاتِفُ الطبيب حالاً»

«أقسِمي أنّكِ ستفعلين» قالَ كارتر بصوتٍ مُنهك. «عليكِ أن تُقسمي أنّكِ ستُهاتفينَ الطبيب. وهاتِفيني إن طرأ أمرٌ ما»

«أعِدُك»

بدلاً من أن تُهاتِفَ الطبيب، ابتلَعَت قُرصَ ديكسيدراين كي تبقى مُستيقظة. فإنّها إن بقيت مستيقظةً تتمكّنُ من مُهاتفةِ الإسعاف في أيةِ لحظة، لتُنقِذَ نفسَها إن لزِمَ الأمر. وفي صباحِ اليومِ التالي، هاتَفَت الطبيبَ من موقعِ التصوير.

«سألتقيكِ في مشفى القديس جون» قال.

«لن أستطيعَ الذهابَ إلى المشفى. سبَقَ أن أخبرتُكَ بذلك. فإنّني الآن أعمل»

«أنتِ تنزفين. العمَل سيضُرُّ بصحتِكِ!»

«كلا، لن يضرّني» قالت، وأنهَت المكالمة. أرادَت أن تطلُبَ منهُ المزيدَ من أقراص ديكسيدراين، ولكنّها تمكّنت من تحصيلِ بعضِها من حلّاقٍ يعملُ في موقع التصوير. وبينما هيَ تُبدّلُ ثيابَها، وجَدَت نسيجاً على فوطَتِها ملطّخاً بالدّمِ، فوَضَعَتهُ في مغلّفٍ وأرسَلَتهُ إلى مكتبِ الطبيب في طريقِها من موقعِ التصويرِ إلى البيت. ولمّا هاتفَتهُ في اليومِ التالي، أخبرَها الطبيبُ أنّ النسيجَ هو جزءٌ من المشيمة، وأنّهُ آخرُ ما تبقّى من آثارِ حملِها المُجهَض. ولأوّلِ مرّةٍ منذ أسبوعين، تمكّنت ماريا من النومِ بهناءةٍ طوالَ الليل، حتّى إنّها تأخّرَت ساعةً كاملةً عن عَمَلِها صباحَ اليومِ التالي.

-32-

«كانَ عليكِ أن تأتي إلى هُنا لتُجرّبي الساونا» قالَ لاري كوليك.

«لقد كُنت...»

«لقد سمِعت»

«سمِعت بماذا؟»

«أنّكِ على وشكِ الدخولِ إلى مشفى للمجانين!»

«أتظنّ أنّني في حاجةٍ إلى الساونا؟»

«أظنّكِ في حاجةِ شيءٍ ما»

لم تنبس ماريا بكلمة.

«أنا صديقٌ صَدوقٌ لِمَن أحِبّ» قالَ لاري كوليك. «قلّبي فِكرَكِ في الأمر».

-33-

بعدَ مرورِ أيامٍ قليلةٍ، بدأت تجتاحُها الأحلام. كانَت ماريا ترى أنّها على صِلةٍ بعضوٍ في نقابةٍ غامضة. أحياناً كانَ فريدي شايكين هوَ حلقة الوصل بينها وبينَ النقابة، وأحياناً أخرى كانَ رجُلَ استخباراتٍ قابَلَتهُ مرّةً في نيويورك ولم يخطُر لها في بالٍ منذ ذلكَ الحين. كانَ يُكرّرُ دائماً جُمَلاً محدّدة. فقد كانَ يصرّحُ دائماً بأنّهُ «جُزءٌ من تلكَ العمليّة»، وكانَ راغباً على الدوامِ في مناقشة «عرضِ عمل»، وكانَ دائماً يأتي على ذِكرِ خطّةٍ لاستعمالِ بيتٍ في بيفرلي هيلز «لأغراضٍ لا تخصُّها». لم يُطلَب منها سوى تزويدِهِم ببعضِ المعلومات: حالة أنابيب المياه، والعرضِ الدقيقِ للأنابيب، وموقعِ وحجمِ كُلّ فتحاتِ التنظيف. وفجأةً، كانَ العُمّال يحضرون، والحُجرات تتجهّز. وفجأةً، كانَ الرجُلُ ذو البنطالِ الأبيضِ يظهَرُ، ومعهُ الطبيب بمِئزرهِ المطاطيّ. وساعتئذٍ كانت ماريا تُصارِعُ لاستعادةِ وعيِها، بيدَ أنّها كانت تفشلُ دائماً في الاستيقاظِ قبلَ أن يصِلَ الحُلمُ إلى غايتهِ البغيضة: فتُسَدُّ أنابيبُ الماء، ويهرُبُ الجميعُ تارِكينَها وحيدةً هُناك، والماءُ ينهمِرُ، رماديَّ اللونِ، من كُلّ مغسلة. لم يكُن في وسعِها، بكلّ تأكيدٍ، أن تُهاتِفَ سبّاكاً ليُصلِحَ الخراب، وذلكَ لأنّها كانت تعرِفُ منذُ البَدءِ ما يسُدُّ الأنابيب: قِطَعٌ من اللحمِ البشريّ.

-34-

في تشرين الثاني، انتهى الحرّ، وذهَبَ كارتر إلى نيويورك لوضعِ اللمساتِ الأخيرة على فيلمه، ولم يُفارق ماريا حُلمها. في الصباحِ الذي سُدّت فيه مغسلةُ بيتِ بيفرلي هيلز، بحَثَت ماريا عن مكانٍ آخر تنامُ فيه.

«قد تتفاجئينَ من تاريخِ هذا المكان» قالَ لها الرجُلُ بينما يُريها الشقّة. كانَ يرتدي لباسَ شاطئٍ ونظّارةً، ولم تجِدهُ ماريا في مكتبِ السّمسار، بل في جادة فاونتين يُنظّفُ الرّصيفَ بخرطومِ ماء. «بصِفَتكِ كاتبةً، ربّما تهتمّينَ بمعرفةِ أنَّ فيليب دون كانت لهُ سبّابتان»

«أنا لستُ كاتبة» قالت ماريا.

«عُذراً، ليسَ دون، بل سيدني هاورد» نزَعَ نظّارتَهُ ومسَحَها بطرفِ كُمِّ ردائه. «أو هكذا تقولُ الأسطورة».

في كانون الأوّل، كانَت شجرةُ الميلادِ تُوضَعُ في قمّةِ برجِ مبنى السجلّات أحياناً، وتُزالُ أحياناً أخرى. وقتَها، سُمِحَ لِكيت أن تُمضي مع ماريا ثلاثة أيام. كانتا تذهبانِ في المركبةِ وتجيئانِ في جادةِ لا – بريا بحثاً عن شجرةِ الميلاد، كما أنّهُما تناولتا عشاءَ الميلادِ في منزلِ ليس وفيليسيا غودوين الجديد، وقامَت كيت برَمي الدّميةِ الفيكتوريّة التي أهدتها إيّاها فيليسيا فحطّمَت بها إحدى مرائي المنزلِ الكبيرة.

«إنّها تفتقِدُ كارتر» همهمت فيليسيا، مُهتاجةً جرّاءَ تحَطُّمِ مرآتِها.

«ليست لديكِ أدنى فِكرة لعينة عمّا تتحدّثين!» قالَ ليس غودوين.

نظَرَت كيت إلى ماريا، ثمّ إلى ليس، ثمّ إلى فيليسيا، وعَوداً إلى ماريا.. ثُمّ، بفضلِ حساسيتِها المُفرطة، أدرَكَت لحنَ التّهديدِ في الأصواتِ حولها (رغمَ أنَّ الأصوات بقيت متّزنةً ولم تعلُ)، فانفَجَرَت باكيةً. غادرَتا عشاءَ الميلادِ والأمُّ مُعتذرةً، والطفلةُ باكيةً، والأرضُ مُغطّاةً بشظايا زُجاجِ المرآة المُحطّمة. أمضَت كِلتاهُما تلكَ الليلةَ تحتضِنُ إحداهُما الأخرى كأنَّ كُلّ واحِدةٍ منهُما تحرسُ الأخرى بشراسةٍ بلهاء. ولكنَّ الحُزنَ، لمّا افترقَتا في اليومِ التالي في المشفى، لم يُصِبهما كلتَيهِما.. وحدَها ماريا انفَجَرَت باكية.

في كانون الثاني، نبتت شُجيراتُ بِنت القُنصُل أمامَ كلّ البيوت الممتدّة من ميلروز إلى صانسيت، وهطَلَ المطر. لم تكُن ماريا تنتعلُ صندلاً، بل حذاءً كاملاً ومعطف شيتلاند كانت قد ابتاعتهُ من نيويورك في العام الذي صارت فيهِ في التاسعة عشرة من عُمرها. أمضَت أياماً، أثناءَ المطر، دونَ أن تتحدّثَ إلى أحدٍ أو تقرأ صحيفة. لم تكُن قادرةً على قراءة الصُّحُف لأنّها كانت تُفاجأ بقصصٍ مؤلمة: الأطفال ذوو الأعوام الأربعة المتروكون في برّادٍ مهجور، وحفلة الشاي التي شرِبوا فيها منظّفَ الملابس بيوريكس، والطفل الرضيع المتروك في ممرّ المركبات، والأفعى في قفصِ اللعبِ الخاصّ بالأطفال، فضلاً عن المصائب والمهالك التي تحدُثُ كلّ يوم. كانت تُصابُ بإعياءٍ شديدٍ كُلّما قرأت تلكَ الأنباءَ في الصُّحُف، عن الأطفال الذينَ وُبّخوا وضُرِبوا حتّى الموت، والأطفال الذينَ ماتوا في مركبةٍ مُحترقة، يالوجوههِم البريئة! ويالصرخاتِهِم المُستغيثة! كانت الأمّهاتُ، في كلّ قصّةٍ، مُعاقراتٍ للمخدّرات. إنَّ كُلّ مُخدّراتِ الدنيا لا تُساوي نُقطةً في بحرِ المهالِكِ والمصائب الموجودة في هذا العالم. تناولت ماريا طبقَ إنتشيلادا مجمّدٍ، وشاهدت التلفازَ لمتابعةِ ما يحدُثُ حولَ العالم.. وظنّت أنّها تحتَ التخدير، ولذلكَ لم تُغادِر شقّتها في جادةِ فاونتين.

-35-

«لا أدري إن كُنتِ لاحظتِ أم لا، ولكنّني مريضةٌ عقلياً» قالت المرأة.

كانت جالسةً إلى جانبِ ماريا في قسمِ الوجبات الخفيفة في متجر رالف.

«أنا أتحدّثُ إليكِ».

نظرت ماريا إليها. «عفواً؟»

«أنا مريضةٌ عقلياً منذ سبع سنوات. لن تفهمي صعوبةَ حياةِ المريض عقلياً».

«لا بدّ أنّكِ تمرّينَ بيومٍ سيئ» قالت ماريا بنبرةٍ لامبالية.

«وبماذا يختلفُ هذا اليوم عن سواه؟»

نظَرَت ماريا خِلسةً إلى حجرات الهواتِف العموميّة، ولكنّ الاكتظاظَ هُناكَ كانَ مستمرّاً. كان هاتفُ شقّتِها مُعطّلاً، وما جاءت إلى هُنا إلّا لأنّها أرادت أن تُبلِغَ عنه. ولكنَّ الاكتظاظَ في متجرِ رالف أربَكَها للغاية، حتّى ظنّت أنّها إمّا أن تحظى بهاتفٍ معطّلٍ أبداً، وإمّا أن ترتكِبَ فاحشةً ما لإصلاحِه. كانَ وجودُ الهاتفِ ضرورياً بالنسبةِ لها، على الرغم من أنّها لم تكُن مضطرّةً لمُهاتفةِ أحدٍ. ولكنّ هاتفَها إن بقيَ معطّلاً، فلن يقدِرَ مسؤولو المشفى الذي تُقيمُ فيه كيت على مُهاتفتها، وبذلكَ تتعرّضُ كيت للخطَر. كانَ صوتُ المرأةِ الجالسةِ إلى جانبِها يعلو وينخفِضُ برتابة.

«أعني أنّكِ لن تُدركي مدى اليأس. فكّرتُ في إنهاءِ حياتي، صدّقيني. تدمير تامّ. وموتٌ محقّق»

«طبيب» قالت ماريا.

«طبيب. لقد استشرتُ أطبّاءَ كثراً»

«ستشعُرينَ بتحسُّن. حاولي أن تشعُري بتحسُّن». بدَت الفتاةُ التي تتحدّثُ في الهاتِفِ لحظتها كأنّها تطلبُ مركبةَ أجرة كي تُقلّها من متجر رالف إلى بيتِها. وكانَت في شعرِها بكَراتٌ وفي عَرَبتِها طفلٌ صغير. فتساءلت ماريا ما إذا كانت الفتاةُ قد رهَنَت مركبتها أم إذا كانَ زوجُها قد هَجَرَها أم ماذا.. ولماذا هيَ الآن تطلبُ مركبةَ أجرةٍ لتوصِلَها من المتجر إلى بيتِها. «أعني أنّكِ يجبُ أن تحاولي. لن تحتملي الحياة هكذا إلى الأبد».

«حقاً لن أحتمل» وبدأت الدموع تنهمرُ على وجنتي المرأة. «فأنتِ لا تُطيقين حتّى الحديثَ معي».

«بل أطيق» قالت ماريا متحسّسةً ذراعَ المرأة. «أطيق».

«أبعدي يدكِ عني أيتها العاهرة!» صاحَت المرأة.

-36-

«هُنالِكَ أمرٌ أعجَزُ عن فَهمه يا ماريا» قالَ كارتر حينَ هاتَفَها من نيويورك. «على الرغم من أنَّ لديكِ منزلاً مُستأجراً في بيفرلي هيلز بألفٍ وخمسمائة دولارٍ شهرياً، فإنَّكِ تتركينهُ فارغاً وتستأجرينَ شقّة مفروشةً في جادة فاونتين. هل تُبتغينَ الوجودَ قُربَ شركة شواب؟ هل هذه غايتكِ؟»

كانت ماريا مستلقيةً على السريرِ تُشاهِدُ برنامجاً إخبارياً في التلفاز يحكي قصّةَ بيتٍ يوشِكُ أن ينزلقَ في مجرى ماء توجونغا. «أنا لا أسكُنُ في هذه الشقّة. بل أقيمُ فيها مؤقتاً».

«ما زلتُ عاجزاً عن فهمِ الحِكمة وراءَ ذلك».

لم ترفَع ماريا نظَرَها عن شاشة التلفاز أمامها. «لا تحاول فهمَها إذاً»، قالت ذلكَ في اللحظةِ التي انهارَ فيها المنزلُ وانزلَقَ في مجرى الماء.

بعدما أنهَت ماريا مُكالمَتَها مع كارتر، التَحَفَت بردائِها وأشعَلَت سيجارةَ حشيشٍ وأخذَت تُشاهِدُ المقابلةَ مع صاحِبَةِ المنزل المُنزلِق. «لقد قُمتُم بعملٍ مُذهِلٍ في تصويرِ لحظةِ انزلاقِ المنزل» قالت المرأة. أنهَت ماريا تدخينَ سيجارتِها وردّدَت ما قالتهُ المرأة بصوتٍ عالٍ. انتهَى تقريرُ المنزلِ المنزلقِ، وتبِعَهُ تقريرٌ عن هزّةٍ أرضيّةٍ تمركزَت قُربَ حديقة شجرةِ جوشوا الوطنيّة، مِقدارُها 4.2 درجة على مقياسِ ريختر، ومعَهُ عُرِضَت مقابلةٌ مع قسّيسٍ أوحِيَ إليهِ أنَّ ثمانية ملايين إنسانٍ سيموتونَ جرّاءَ هزّةٍ أرضيّة في ظهيرةِ يومِ جمعةٍ خلالَ آذار. إنَّ لِفكرةِ الدّمارِ الشامِلِ أثراً تخديريّاً خاصّاً على ماريا، دالّاً على أنَّ كلّ مخاوِفِ الإنسان يُمكِنُها، في لحظةٍ مُباغتةٍ،

أن تتحقّقَ وتُغني صاحِبَها. وهكذا، أحسَّت ماريا –مع نبوءة الهزّةِ الأرضيّة وسيجارة الحشيش والإيجابيّة المجنونة التي استَقبَلَت بها تلكَ المرأةُ حقيقةَ دمارِ منزِلِها وانزلاقِهِ في مجرى ماء توجونغا– بِسَكينةٍ ورضا. كانَت ماريا آمنةً بينَ الجُدرانِ الأربعة لشقّتِها المستأجرةِ. بل كانَت أكثرَ من آمنة: كانت على خيرِ ما يُرام. وقد شاهَدَت نفسَها في مسلسلِ *الطريقِ السريع 80*، وبَدَت على خيرِ ما يُرام. دافئةً، وراضيَةً، ومُمتلئةً بالعزيمة. وهكذا، غطّت ماريا فيهِ على خيرِ ما يُرام في النومِ قبلَ انتهاءِ البرنامجِ الإخباريّ.

بيدَ أنّها، في صباحِ اليومِ التالي، لمّا وجَدَت أنَّ مصرِف ماءِ الدوش مسدودٌ، تقيّأت في المرحاض. وبعدما ذهَبَ عنها الغثيانُ والارتعاش حَزَمَت أغراضَها التي جاءَت بها إلى شقّةِ جادة فاونتين، ثمَّ قادَت مركبَتها في ضجيجِ المطَر إلى منزِلِها في بيفرلي هيلز. ياللعجب! أينما حلّت ماريا وجَدَت أعمال سباكةٍ في انتظارِها.

-37-

«سوفَ أفعلُها» ستقولُ عبرَ الهاتف.

«فلتفعليها إذاً» سيقولُ كارتر. «هذا أفضل».

«هل تعتقدُ أنّ ذلكَ سيكونُ أفضل؟»

«نعم. إن كانَ ذلكَ ما تودّينه»

«وماذا تودُّ أنت؟»

«لم يكُن الحالُ خيراً قط» سيقُول. «بل كانَ كارثياً»

«أنا آسفة»

«أعرِفُ أنّكِ آسفة. وأنا آسفٌ أيضاً»

«يُمكننا أن نُحاولَ مجدّداً» سيقولُ أحدُهُما بعد هُنيهة.

«سبَقَ أن حاولنا» سيرُدُّ الآخر.

وبحلولِ الوقتِ الذي عاد فيهِ كارتر إلى المدينة في شباط، كانَ ذلكَ الحِوارُ غيرَ ذي معنى، وكانَ عقدُ زواجِهِما قد انحلّ.

«أوكَلتُ محامياً جديداً» أخبرَته. «يُمكنُك أن توكِل ستاينر»

«سوفَ أهاتِفُهُ اليوم»

«سأحتاجُ إلى شاهِد»

«هيلين» قال. «هيلين يُمكِنُها أن تُساعِدَكِ» بدا مُرتاحاً إلى أنّ الحِوارَ تركّزَ على مناقشةِ التفاصيل القانونيّة، وإلى أنّهُ اقترحَ عليها هيلين. سيُقيمُ كارتر في منزِلِ بي زي وهيلين ريثما يُنهونَ إعدادَ الفيلم. وسيُحدّثُ هيلين مباشرةً في الأمر. أحسَّت ماريا أنّها نائمةٌ تسيرُ نحوَ المحكمة.

«لنرَ... جلسةُ استماعٍ وقتَ الظهيرة» نطَقَت هيلين الكلمات بتروٍّ مُباعدةً فيما بينَها. «ذلكَ يعني أنَّنا سنتناول وجبة الغداء قبلَها وليسَ بعدها»

«ليسَ لزاماً علينا تناوُلُ وجبةِ الغداء»

«هوَ يومٌ كأيّ يوم يا ماريا. بالطبع سنتناولُ وجبة الغداء!»

في يومِ جلسةِ الاستماع، ظلّت ماريا نائمةً حتّى وقتٍ متأخّرٍ بسببِ المنوّمِ الذي تناولَته. ولمّا دخَلَت إلى المطعم متأخّرةً نصفَ ساعةٍ عن موعِدِ الغداء، لم تُفكّر إلّا في أنَّ هيلين كانت تبدو في صحّةٍ ممتازة، وكيفَ أنَّ الشَّمسَ منَحَت بشرَتَها سُمرةً لطيفةً، فزادها قميصُها الحريريّ وشَعرُها الطويلُ المُنسدِلُ وخاتمُ الزمرُّدِ في أصبَعِها جمالاً.

«سَوّي كتِفَيكِ» قالت هيلين، رافعةً كأسَها برفقٍ بينما جلَسَت ماريا بهدوء. «تبدينَ مثلَ شبح». لم تكُن هيلين ناظِرَةً إلى ماريا، بل إلى امرأتينِ جالسَتينِ في الطرفِ الآخر من المكان. «صارَت لدى ألين والش صديقة جديدة» غمغمَت هيلين لِماريا بينما كانت تبتسِمُ لأكبرِ الامرأتينِ سِنّاً. «كانت إحداهُما تُطعِمُ الأخرى بملعقتِها طيلةَ نصف الساعة الفائتة».

«تلكَ ممثلةٌ تُدعى شارون كارول. لقد مثّلتُ معها مرّةً». حاولت ماريا استذكارَ المزيدِ من التفاصيل كي تُشبعَ فضولَ هيلين تجاهَ الآخرين. «كما كانت تحتفِظُ بقضيبٍ اصطناعيّ في حُجرةِ ملابسِها»

«لدى ألين والش قُضبانٌ اصطناعيّة في منزلِها أكثر من أيّ أحدٍ أعرفه. هل رأيتِ خاتمي الجديد؟»

«نعم، رأيته»

«إنّهُ هديّةٌ مِن كارلوتا» تأمّلَت هيلين حجرَ الزمرّد. «لأنّني بقيتُ في الصحراء. وبالحديثِ عن الأصدقاءِ الجُدد، كانَ بي زي يستقبلُهُم ويُودّعُهم في ذلكَ النّزُل كأنّهُم صُحُفٌ يوميّة، وما كانَ يُمكنني النهوضُ لأخذِ قُرصِ المنومِّ دونَ أن أكسِرَ قنّينةَ نبيذٍ لضيفٍ ما» وفجأةً، امتقَعَ وجهُ هيلين، ولمّا تكّلَمت كانَ صوتُها رتيباً وقلِقاً. «تبدينَ في حالةٍ مُزريةٍ يا

ماريا! لا يستحقّ الأمرُ أن تنهاري تماماً بسببه - أعني أمرَ الطلاق. أنا مررتُ بهِ قبلكِ مرّتين»

«ظننتُ أنّكِ مررتِ بهِ مرّةً واحدة فقط»

«بل مرّتين» قالت هيلين غيرَ مبالية. «يدّعي بي زي أنَّ الطلاقَ حدثَ بيننا مرّةً واحدة، فقط لأنّ ذلكَ ما أخبرَ بهِ أمّه» كانت هيلين مأخوذةً بانعكاسِ صورتِها في المرآةِ الموضوعةِ خلفَ الطاولة، تتحسّسُ بأصبعِها خطّاً ممتداً من ذقنِها حتّى صِدغِها. «يُمكنُكِ أن تلاحِظي ما بي» قالت أخيراً.

«ألاحِظَ ماذا؟»

«تلاحظي أنّني لم أضاجِع رجُلي الوسيم منذ ثلاثة أيام». كانَ صوتُ هيلين ما يزالُ رتيباً، بيدَ أنَّ اللامبالاةَ فيهِ اختَفَت.

في تمامِ الساعة الثانية، التقتا بِكارتر والمُحامينَ خارجَ قاعة المحكمة في سانتا مونيكا. وفي الساعة الثانية والنصف، أقسَمَت ماريا، وعضدتها هيلين، أنَّ المُدّعى عليهِ (كارتر لانغ) اعتدى بالضربِ مراراً وأهانَ المُدّعيةَ (السيّدة ماريا لانغ) بشتّى السُّبُل. كانت التّهمةُ: سوءَ العِشرة، بشكلٍ لا يقبلُ الجدَل. بدَت السيّدةُ ماريا لانغ، التي أشارَ إليها المُحامون، في نظَرِ ماريا كياناً آخر منفصِلاً عنها - كأنّها إحدى الزوجات المُعنّفات اللاتي كانت تُشاهِدُ مقابلاتٍ تلفزيونيّةٍ معهنّ. وبينما كانوا ينتظرونَ انقضاءَ الأمرِ، وتوقيعَ بعضِ الأوراقِ الرسميّة، كانت ماريا جالسةً بسُكونٍ واضِعةً كِلتي يديها في حجرِها. وكانت هيلين مُشتعِلةً قلقاً إلى جانبِها، تُحدّقُ بِكارتر ومُحاميهِ الواقفَينِ في الرّدهة. «يا كارتر» همَسَت هيلين أخيراً، وانحَنَت على ماريا كي تسترعي انتباهه. «أحجيةُ الأسبوع: مَن هُما السحاقيّتانِ اللتانِ كانت إحداهُما تُطعِمُ الأخرى سوفليه بالجُبنِ في المطعمِ صباحَ اليوم؟»

-38-

«ماذا كُنتِ تفعلين؟» قالَ كارتر لمّا رآها مرّةً أخرى.

«أعمَل. سوفَ أبدأ عملاً جديداً عمّا قريب»

«أعني بمَن كُنتِ تلتقين؟»

«لا أحَد. هيلين، وبي زي فقط. يزورُني بي زي أحياناً»

«لا تنغمسي معهُما» قالَ كارتر.

«إنّهُ صديقُك» قالت ماريا.

-39-

المرّةُ الأولى التي التَقَت فيها ماريا بِـبي زي، كانت في منزلِ الشاطئ، وكانَ ذلكَ في تمامِ الساعة الثانية في ظهيرةِ أحدِ أيامِ الأسبوع، وكانَ ذلكَ في الصيفِ الذي أنهى فيهِ كارتر إعدادَ فيلم شاطئ أنجل.

«سوفَ ألتقي عند الشاطئِ بذلكَ الشخص الذي أخبرتُكِ عنهُ من سان فرانسيسكو» أخبرها كارتر. «تعالي معي واستمتعي بالبحر»

«لا أرغبُ في السباحة في هذا الوقت»

«ماريا» قالَ كارتر أخيراً، «ربّما يدعمُني ذلكَ الشخص ببعضِ المال. ربّما. أتفهمينني؟»

عندما وصلا منزلَ الشاطئ، ظنّت أنَّ هُنالِكَ سوءَ فهمٍ ما، أو أنّهُما وصلا في غيرِ الوقتِ المحدّد، وذلكَ لأنَّ الرجُلَ الذي حدّثها كارتر عنهُ كانَ ساعتها جالساً وحدَهُ يُشاهِدُ فيلماً بجودةٍ رائعةٍ في حُجرةِ الجلوسِ المُعتمة.

نظَرَ الرجُلُ إلى ماريا، وحدّقَ فيها لوهلةٍ، ثمَّ أطفأ جهازَ العرض.

«هل ذهبتَ إلى الاستوديو أمس؟» بدا كارتر غيرَ آبهٍ بطريقةِ استقبالِ مُضيفِهِ الغريبة. «هل عرضوا عليكَ النسخة النهائية من الفيلم؟»

«إنّها رائعة»

«هل شاهدتها هيلين؟» قالَ كارتر بإصرار. «أينَ هيلين؟»

«عند الشاطئ»

«سوفَ أرتدي لباسَ السباحة» قالت ماريا، مُضطربةً في عتمةِ الحُجرة. نظَرَ بي زي إليها مرّةً أخرى، ثمّ أعادَ تشغيلَ جهازِ العرض.

«الطقسُ باردٌ ولا يصلُحُ للسباحة» قال. ثمّ توجّهَ بالكلامِ إلى كارتر: «بدت النسخة النهائية في غايةِ الروعة، لولا أنّكَ تُفسِدُ القصّة»

«ماذا تعني؟»

«أعني...» قالَ بي زي «ما رأيُ ماريا بالجِنسِ الجماعيّ، وتلكَ القُضبان الإثني عشر؟ ألَم تشعُر هيَ أنّهُم إنّما يُضاجعُ بعضُهُم بعضاً ولا يُضاجِعونها. هل أعجَبَها ذلك؟ أنت لا تُدرِكُ ذلك، ولذلكَ تُفسِدُ القصّة»

توقّفَت بكرةُ الفيلم عن الدوران، وما بقي سوى صوتِ جهازِ العرض. «إنّهُ فيلمٌ تجاريٌّ يا بي زي، لا أكثر» قالَ كارتر أخيراً.

هزّ بي زي بكتفيه، وعدَّلَ البكَرة، فبدأ عرضُ الفيلم مرّةً أخرى. جلَسَ بي زي على أريكتِهِ وأخذَ يُحدّقُ في ماريا، بصَمت. لفَّ سيجارةً وقدّمَها إليها، ولمّا مرّرَتها إلى كارتر أخذَها منها دونَ أن يُحوّلَ نظرهُ عن الشاشة أمامه. وبينَ سيجارة الحشيش والمشاهد المعروضة على الشاشة، أحسَّت ماريا باحتقانٍ وقلّة حيلة.

«انظُر إلى الفيلم يا بي زي» قالَ كارتر فجأةً. «رائع. المؤثرات البصريّة عظيمة!»

«سبَقَ أن شاهدتُ الفيلم يا كارتر» قالَ بي زي، دونَ أن يرفَعَ عينيهِ عن ماريا.

-40-

«فلنذهب الليلةَ إلى المكسيك» قالَ بي زي.

«مَن؟»

«أنتِ، وأنا، وهيلين.. وربّما لاري كوليك. لن نمكُث هناكَ سوى يومَين. فإنَّ سوزانا وود هناك الآنَ، تُنجِزُ بعضَ التصميمات في شوروبوسكو»

«لا أريد» قالت ماريا.

«بل تريدين» قالَ بي زي.

-41-

كانت تُردّدُ لِنفسِها كُلَّ ليلةٍ ما يجِبُ أن تفعَله: يجبُ أن تطلبَ من ليس غودوين أن يجيءَ ليَحميَها من المصائب. تُهدّئها الفِكرةُ، فتسقُطُ في نومٍ عميقٍ مُوهمةً نفسَها أنّها مُستلقيةٌ إلى جانبِهِ في ذاتِ السريرِ في منزلٍ قبالةَ البحر. تخيّلَت أنَّ المنزلَ فاخِرٌ للغايةِ ولم ترَ لهُ مثيلاً، وأنَّها تألفُ كُلّ زاويةٍ وتعرِفُ أماكِنَ الأقمشةِ والملابس فيه، وأماكِنَ الصحونِ والأطباق، وكيفَ أنَّ العُشبَ يمتدُّ حتّى الشاطئِ وأنَّ أمواجَ المدِّ ترتطِمُ بصخورِ الشاطئ. كانت ترى، كلَّ صباحٍ، أنّها تفرشُ السريرَ بأغطيةٍ جديدة. وترى أنّها، كُلَّ يومٍ، تطبُخُ بينما كيت تحُلُّ واجِباتِها المدرسيّة. كانت ترى كيت جالسةً في نورِ الشمسِ، ورأسُها مُنحنٍ على الطّاولة. ولاحقاً، في هَدأةِ المدّ، تذهبانِ معاً لجمعِ المحار، كيت وماريا. وبعدها، يجلسون ثلاثتُهُم إلى الطاولةِ العريضةِ المنحوتة من خشبِ الصنوبرِ، فتُضيءُ ماريا مِصباحَ كازٍ، ثمَّ يبدؤونَ بالتهامِ المَحار وشُربِ زجاجةٍ كاملةٍ من النبيذ الأبيضِ البارد.. وبعد قليلٍ يحينُ وقتُ النومِ على الأغطيةِ الناصعةِ البياض. وفي تلكَ القصّةِ، التي توهّمتها ماريا في الثالثة أو الرابعة من فجرِ ذلكِ اليوم، لم يكُن هُنالكَ سوى ثلاثة أشخاص لا يُثقِلُ أيّاً منهُم عِبءُ أيِّ ماضٍ. كانوا رجُلاً وامرأةً وابنةً فقط، وأمامهُم -في ضوءِ المصباح- يلتَمِعُ صدَفُ المحار.

ولكنّها، عند بزوغِ الفجر، كانت تعودُ إلى منزِلِها على أرضِ الواقعِ في بيفرلي هيلز، مُضطربةً ومُبتلاةً بماضيها وماضيهِ وماضي كيت، وواثقةً من أنَّ بي زي ولاري كوليك وأمثالهُما يرونَ العالمَ الحقيقيَّ في صورةٍ لن يرغَبَ ليس غودوين في فهمِها، وهيَ أنَّهُ ليسَ منزلًا قبالةَ البحر، بل رُكنًا عند

صانسيت ولا بريا. في ضوءِ الشمسِ الخافِتِ هُناك، لن تتمكّن كيت من حلّ واجباتِها، ولن يكونَ محارُ أيّ شاطئٍ لذيذاً، بل سامّاً. ولذلك، بدلاً من أن تُهاتِفَ ليس غودوين، ابتاعَت ثوباً فضّيّ اللون، وحاوَلَت صرفَ فِكرِها عمّا فعَلَهُ الطبيبُ بالطّفل.. أو النسيج.. أو تلكَ القطعةِ الحيّةِ الميتة.. أو سمُّوها ما شئتُم!

-42-

«سوفَ أسافِرُ إلى نيويورك لبضعةِ أيام» أخبرَت كارتر. لم يخطُر السّفرُ إلى نيويورك لها في بالٍ، ولكنّهُ التمَعَ في ذهنِها وبدا فِكرةً منطقيّةً في اللحظةِ التي صادَفَت فيها كارتر في أحدِ شوارِعِ بيفرلي هيلز. ذلكَ ما يفعلهُ كثيرٌ من الناس عندما يُفاجؤونَ بأمرٍ ولا يدرونَ ما يفعلون: يسافرونَ إلى نيويورك لبضعةِ أيام. «غداً صباحاً» أضافَت.

«وماذا ستفعلين في نيويورك؟»

«مثلما يفعلُ كلّ الناس الذينَ يسافرونَ إلى هُناك»

نظَرَ إليها مُطوّلاً. كانت على عِلمٍ بأنَّ شَعرَها أشعث، وبأنَّ وجهها مُنتفِخ. لم تنظُرْ في عينيه.

«إنّهُم يُشاهدونَ المسرحيات» قالَ أخيراً. «ربّما سترغبينَ في مُشاهدةِ المسرحيات أيضاً»

«ربّما» قالت. ثمَّ سارَت بعيداً.

لم تُفكّر ماريا طيلةَ اليوم إلّا بالأجِنّة المُلقاةِ في النهرِ الشرقيّ، شفّافةً كقناديلِ البحر، طافِيَةً عبرَ فتحاتِ تصريفِ مياه المجاري إلى جانبِ قشورِ البرتقال. لم تُسافِر ماريا إلى نيويورك.

-43-

ذاتَ مرّةٍ، قبلَ زمنٍ، عمِلَت ماريا لأسبوعٍ كاملٍ في أوكو ريوس مع فتاةٍ كانت قد خضعت مؤخراً لعمليّة إجهاض. تذكّرَت الفتاةَ وهيَ تُخبرُها عن العمليّةِ لمّا كانتا تجلسانِ معاً بجانِبِ شلّالٍ ريثما يُقرّرُ المُصوِّرُ أنَّ الشمسَ باتت في ارتفاعٍ مناسبٍ لبدء التصوير. بدا أنّ الإجهاضَ في نيويورك في ذلكَ الوقتِ كان محفوفاً بالمخاطِر، فقد كانَت السلطاتُ تعتقِلُ الأطباء الذينَ يُجرونَ العمليات، فما كانَ طبيبٌ يجرؤُ على المُخاطرة. ولكنَّ تلكَ الفتاة، وكانَ اسمُها سيسي ديلانو، قامت أخيراً بسؤالِ أحدِ أصدقائِها في مكتبِ المدّعي العام عمّا إذا كانَ يعرِفُ طبيباً يجرؤُ على مُساعدتِها. «نعم، ولكن بثمن» أخبرَها. ولاحقاً شهِدَت سيسي ديلانو أمامَ هيئةِ محلّفينَ مشكّلةٍ من مواطنينَ متميّزين أنَّ قِسمَ عملياتٍ تواصَلَ معها، ولم تلبث أن أُدخِلَت إلى مشفىً من أجلِ إجراء عمليّة توسيع وكَحت رحِم قانونيّة، رتّبَها وسدّدَ فاتورتها مكتب المدّعي العامّ.

بدَت تلكَ قصّةً مثيرةً سواءٌ لمّا سرَدَتها لها في ذلكَ الصباحِ إلى جانبِ الشلال، ولاحقاً أيضاً عند العشاء لمّا أعادت سردَها للمصوِّر والوكيل الفنّي ومنسّق الأزياء. حاوَلت ماريا أن تسرُدَ ما حدَثَ معها في إينسينو بذاتِ الروحِ المرِحة، ولكنَّ وضعَ سيسي ديلانو بدا غيرَ متَّفِقٍ معَ وضعِها. ففي النهايةِ، ما كانت تلكَ سوى قصّة نيويوركيّة!

-44-

كانت رسالةُ اختصاصي التنويمِ المغناطيسيّ إلى ماريا منسوخةً، ووصلت إليها عن طريقِ الاستوديو الذي أخرجَ فيلم شاطئ أنجل. «إنَّ هُمومَكِ، على الأرجحِ، كبُرَت معكِ منذ الصِّغَر» افتُتِحَت الرسالةُ بتلكَ الكلمات، ثمَّ تلاها فراغٌ، كُتِبَت بعدهُ هذه الكلمات: «منذ كُنتِ في رحِمِ أمّكِ». قرأت ماريا الرسالة باهتمامٍ بالغ. رأى المُعالِجُ بالتنويمِ أنَّ كثيراً من الناسِ ربّما يكتمونَ همومَهُم، ليسَ منذ طفولتِهِم، بل منذُ اللحظةِ التي خُلِقوا فيها. كانَ ذلكَ المُعالِجُ يستقبِل مرضاهُ في منزلِهِ الكائنِ في سيلفرليك حفاظاً على خصوصيّتِهم.

هاتَفَت ماريا صاحِبَ الرقمِ المكتوبِ في الرسالة، وفيها إحساسٌ غامِرٌ بأنّ كابوسها يوشِكُ أن يُصبِحَ حقيقةً مؤكّدة.

-45-

«كُنتِ تُصفّفينهُ وهوَ مبلول» قالَ مُصفّفُ الشعرِ وهوَ يرفَعُ خُصلةً من شعرِ ماريا ثمّ يُفلِتُها بامتعاض.

«أظنّ ذلك» كانت ماريا تعجزُ دائماً عن إتمامِ حوارٍ إلى آخِرِهِ مع مصفّفي الشعر.

«سبقَ أن حذّرتُكِ، أنتِ بذلكَ تُقصّفينَ أطرافه» قالَ دونَ اهتمام حقيقيّ، ثمَّ أعرَضَ عنها وتحوَّلَ إلى فتاةٍ أخرى نحيلة تسلّلَت من ورائِهِ وقبّلَتهُ في عُنُقِه. «كيفَ حالُكِ يا حبيبتي؟»

«أجريتُ عمليّة»

«حقاً؟»

«خراج حوضيّ» حلّت الفتاةُ مئزرَها وتحسّسَت ترقوتَها بذهول. «في كلّ قنواتِي»

«اسمعي، علِمتُ أنَّ اتفاقيتهُ الجديدة موضوعةٌ هناك» قالَ المصفّف. «كانت بيبي ماركيل هُناكَ منذ قليلٍ، وقالت إنّها علِمَت بأنّهُم يُحاولونَ نقلَ الاتفاقية إلى الردهة».

«لا يُهمّني ذلك» قالت الفتاة. «وما قد يُهمّني هوَ أنّني لن أضطرّ للذهاب إلى المحكمة لتحصيل النفقة منه». انتزَعَت بكرةً كبيرةً من شعرِها، وتحسّسَتهُ كي تتأكّدَ أنّهُ صارَ جافاً. «اسمع» قالت فجأةً. «أنهِ تصفيفَ شعرِها، ثمّ صفّف لي شعري. وعندما تُنهي كلّ عملِكَ تعالَ إلى منزلي كي نحتسي الشرابَ معاً».

«وأينَ تسكُنينَ الآن؟»

«قُربَ مدينة كولدووتر، في مكانٍ ما! حسناً؟ أتعِدُني؟»

«سوفَ أفكّرُ في الأمر»

«أرجوكَ. عِدني»

تجاهَلَها، وناوَلَ ماريا مرآة. «أتودّينَ استعمالَ مُجفّف شعر يا عزيزتي ماريا؟»

اكتَفَت ماريا بهزّ رأسِها رافِضَةً، وأخرجَت خمسةَ عشرَ دولاراً من حقيبَتِها وذهَبَت مُسرِعةً إلى حُجرةِ تبديلِ الملابس.

«ربّما استطعتُ أن أقنِعَ ساندي بالمجيء». من حُجرةِ الملابِسِ كانت ماريا قادرةً على سماعِ الفتاةِ وهيَ تتملّقُ المصفّف، تلكَ الفتاةِ الحسناءِ النحيلةِ ذات عمليّة الخراج الحوضيّ ودعوى النفقة الزوجيّة والشعرِ المثاليّ، ولكن دونَ أن يقبَلَ أحدٌ احتساءَ مشروبٍ معها. ركّزَت ماريا اهتمامَها على أكوامِ المآزِرِ المستعملة والمناشِفِ الرطبة، وحاولت ألّا تسمَعَ ما ستقولُهُ الفتاة. بدَت الفتاةُ كأنَّ لديها شعوراً مُسبقاً بشيءٍ ما. «اسمع» قالت الفتاة. «ربّما أتمكّنُ من إقناعِ بيبي ماركيل بالمجيء».

-46-

رأتهُم في المتاجِرِ، وباتت على درايةٍ بعاداتِ الزّبائنِ الرتيبة. في تمامِ الساعة السابعةِ من ليلةِ سبتٍ، سيكونونَ واقفينَ في طابورِ الخروجِ يقرؤونَ تنبؤاتِ الأبراجِ في مجلة بازار هاربر، ويضعُونَ في عرباتِهِم كيسَ لحمٍ مفروم، وربّما عُلبتينِ من طعامِ القطط والطبعةَ الأولى من صحيفةِ الأحَد، مُلصقةً بها عدّة مجلات هزليّة. سيكونونَ أنيقينَ لبَعضِ الوقت بِقُمصانِهِم الأنيقة ونظّاراتِهِم الشمسيّة الجميلةِ اللون وشفاههم المشدودة قليلاً ربّما. هُناكَ سيكونون، معهُم كيسُ لحمٍ مفرومٍ وطعامُ قطط معلّبٍ وصحيفةُ أحَد. ولِكَي تتجنّبَ اتّباعَ مثلَ تلكَ العادات، كانت ماريا تبتاعُ دائماً أغراضاً منزليّة، وعدّة جالونات من عصيرِ الليمون الهنديّ، وربعَ جالونٍ من الصلصة التشيلية الخضراء، وعدساً مجفّفاً، ومعكرونة على شكلِ أحرف الأبجديّة، ومعكرونة ريغاتوني وياماً مُعلّباً، وصناديق من منظّفات الملابس. كانت على درايةٍ بعاداتِ الأشخاصِ الوَحيدين، فكانت تتجنّبُ دائماً ابتياعَ معجون أسنانٍ صغيرٍ، ووضعَ مجلّةٍ في عربةِ التسوق خاصّتها. كانَ منزلُها في بيفرلي هيلز فائضاً بالسُّكّر، وفطائرِ الذّرة، والمجمّداتِ والبصلِ الإسبانيّ. كانت ماريا تأكُلُ الجُبنَ القُريش.

-47-

«أنتِ مُستلقيةٌ في الماء» قالَ المُعالِج بالتّنويم. «مُستلقيةٌ في الماءِ، والماءُ دافئٌ، ويتناهى إلى سمعِكِ صوتُ أمّكِ»

«لا» قالت ماريا. «لستُ مستلقيةً في الماء»

نهضَ المُعالِج. بدا طيلةَ الوقتِ لا مبالياً ويحتسي خمرةَ بيرنوريكار وماءً، وكانَ منزِلُهُ مُغبرّاً وممتلئاً بقُصاصاتِ الجرائدِ وحافِظاتِ الورق. «ماذا تسمعين؟» قالَ أخيراً. «ماذا تسمعينَ وتَرينَ في مخيّلتِكِ الآن؟ وماذا تفعلين؟»

«أنا في مركبتي، أقودُها إلى هُنا» قالت ماريا. «أقودُ في شارعِ صانسيت، في المسربِ الأيسرِ تحديداً - لأنّني أتمكّنُ فيهِ من رؤيةِ قاعة نيو هافانا للرقص وسأنعطِفُ يساراً كي أذهبَ إلى هُناك. هذا ما أفعله»

-48-

بدايةً، في ذلكَ الربيع، كانَ هُنالكَ مثليٌّ يصطحِبُها إلى الحفَلات. ولم يكُن مثلياً شهيراً (من أولئكَ الذينَ يُحجَزونَ مُسبقاً لاصطحابِ زوجاتِ المخرجينَ المشهورين إلى الحفلات)، بل كانَ مجرّد مثليٍّ عاديّ. في بداياتِها، كانت تُعتبَرُ صَيداً بسيطاً بالنسبة لكثيرٍ منهم: فلم يكونوا مُعجبينَ بها لأنّها كانت لا تُمانعُ الاستماعَ إلى مناجاتِهم وشكاواهم الليلية من أوضاعِهم المُزرية فقط، بل لأنّ الأعوامَ التي أمضَتها في العملِ جعَلَتها خبيرةً في القضايا العديمة القيمة التي كانت تشغَلُ بالهُم. كانت خبيرةً، على سبيلِ المثال، في أنواعِ الأحذية، وفي كيفيّة تمييز الأساوِر الأصليّة من الأساور المزوّرة. ولكن، كانَت هُنالِكَ قلّة إيمانٍ وثقةٍ واضحة في تصرّفاتِها، ولامبالاة عجيبة. وكانَ ذلكَ يدفعُهُم دائماً إلى التراجُعِ حفظاً لماءِ وجوههم. كانوا يُضطرونَ أخيراً إلى رفعِ حواجِبِهم اضطراباً عندما يكونونَ في حضرتِها. «عزيزتي» يقولُ واحِدُهُم. «فلتحتسي كأسَ شرابٍ آخر». فتَفعل. صارت الآنَ تشربُ أكثرَ من أيّ وقتٍ مضى، وذلكَ لأنّها حين تنامُ سَكرى، لا تحلُم. «من هُنا إلى حُجُرات الغاز، سيداتي وسادتي» ردَّدَ الصوتُ هذه الكلمات في مكبّرِ صوتٍ في أحلامِها.. ورأت أنّها تتأكّدُ من الأسماءِ بينما يمرّ الأطفالُ من جانبِها في طوابير، أولئك الأطفالُ المُنتظرونَ في الحُجرات الخضراء. رأت أنّها تجمَعُ خواتِمَهُم وحلقاتِهِم وسلاسِلهُم في سلّةٍ مُنخّلة. كانت مهمّتُها في تلكَ الأحلامِ أن تهمِسَ بكلماتٍ مُطمئِنَةٍ للأطفالِ الذينَ يبكونَ أو يحاولونَ الفرار، لأنَّ تلكَ العمليةَ كانت إنسانيّةً في المقامِ الأوّل.

-49-

«ليونارد سيمكُثُ في نيويورك مدّةَ عشرة أيام» قالت هيلين فورَ إنهاءِ ماريا مكالمتَها. «هل أخبرتُكِ؟»

«ثلاثَ مرات!» قالت ماريا. كانَ ليونارد هوَ مصفّف شعر هيلين.

«لم أكُن لأكترِثَ إن كُنتُ خارجَ المدينة، ولكنّني فيها بينما ليونارد خارجها – فمَن ذا الذي هاتفَني منها إذاً؟»

«مُساعِدُ أحدٍ ما»

«ماذا تعنين بأحدٍ ما؟ مَن بالتحديد؟»

«أحدُ الكُتّابِ في المجلات. لا أدري مَن بالتحديد»

«وماذا أراد؟»

«أرادَ أن يتأكّدَ ممّا إذا كُنتُ أواعِدُ شخصاً ما أم لا، كما أرادَ أن يعرِفَ انطباعي بخصوصِ مواعدةِ كارتر لِسوزانا وود»

هزّت هيلين بكتفَيها. «أعرِف ذلك»

«تعجّبتُ من كلمة مواعدة! ألا تبدو لكِ كلمةً ظريفة؟»

«لا» كانت هيلين تتأمّل شعرها بمرآةٍ صغيرة. «ما دُمتُ أنا في المدينة، وليونارد خارجها، فإنّني خائفةٌ... جدّاً»

لم تنبس ماريا بكلمة.

«لا أظنّكِ تفهمينَ الأمر»

رأت ماريا الدموعَ تترقرقُ في عَيني هيلين. «لا تبكي يا هيلين» قالت أخيراً. «لا تكتئبي»

«يالهُ من هُراء!» قالت هيلين. «كُلّهُ هُراء»

-50-

فعَلت ماريا كلّ ما أرادتهُ وحَلُمَت فيهِ في المدينة. فأقامَت في نُزُلٍ، وتناولَت سلطعوناً في مرسىً. وبحلولِ الساعة الثالثة عصراً صارَت الزبونة الوحيدة في مطعمِ المرسى. وقد ظلّت كذلكَ لثلاثينَ أو أربعينَ دقيقة مملّة، وشرائحُ الشمندرِ تُغطّي سيقانَ السلطعون.. ونادلتانِ تتجادلانِ ببرودٍ.. وصوتُ موسيقى يتناهى إلى الأسماعِ من المسرحِ العائم. بعدَ ذلك، سارَت على الرملِ الحَصَويّ وقادَت مركبتَها على غيرِ هُدىً وصولاً إلى بورت هوينيمي ثم رجوعاً إلى أوكسنارد، والآنَ جلَسَت على دكّةٍ في ساحةِ المدينة تُراقِبُ بعضَ الأولادِ الذينَ كانوا يرتدونَ معاطِفَ ليفي رثّة ونظّارات واقية سوداء ويفترشُون العُشبَ قُربَ مركبتِها. كانت درّاجاتهُم البخاريّة مركونةً إلى رصيفِ الشارعِ، وكانوا –حسبما بدا لها– يتناوبونَ على تدخينِ سيجارةِ حشيشٍ، وبينَ الفينةِ والأخرى ينظرُونَ إليها ويتبادلونَ الضحكات. ولأنَّ وقوداً كانَ مُشتعلاً في مكانٍ ما شمالاً، كان هُنالكَ سديمٌ أصفرُ يُغطّي سماءَ المدينة، وسكونٌ رهيبٌ تضجُّ بهِ ساحةُ المدينة. على الدكّةِ الأخرى، كانَ رجُلٌ مُسِنٌّ يسعُلُ بصمت، ويبصُقُ بلغماً بدا كأنّهُ بقيَ مُعلّقاً في هواءِ الساحةِ الكثيف. كما كانت هُنالكَ امرأةٌ في زيٍّ مُمرّضةٍ تدفَعُ شخصاً ما في كرسيٍّ متحرّكٍ بصمتٍ عبرَ أسيجةٍ من زهورِ الكاميليةِ الذابلة. أغمَضَت ماريا عينَيها وتخيّلَت المرأةَ قادِمةً صوبَها وفي يدِها حُقنة طبّية. ولمّا فتَحَت عينيها، بدا الأولادُ في المعاطِفِ الرثّةِ كأنّهُم يسرقونَ ما يوجَدُ داخِلَ المركباتِ الواقفة. ومِن أجلِ أن تسمعَ وقعَ خطواتِها، نهَضَت ماريا وسارَت نحوَ حجرة الهاتف العموميّ المُحاذية

للحمّامِ العمومي وطلبت من المسؤولِ أن يُجرّبَ الاتصالَ برقمِ لوس أنجلوس ثانيةً.

كانَ يُمكِنها أن تُخبرهُ بأنّها لم تعُد تطيقُ الانتظار.

كان يُمكنُها أن تُخبرهُ بأنّها كانت جالسةً في المتنزّهِ تُراقِبُ مجموعةَ أولادٍ يسرقونَ المركبات ولم تُطِق الانتظار.

ربّما ما كانت لتشعُرَ بما تشعُرُ بهِ الآن لو أنّها تكلّمَت معه، فلربّما تمكّنَ من إضحاكِها. ربّما كانت ستسمَعُ صوتَهُ فينهارُ جِدارُ الصمت، وكانت المرأةُ في زيّ الممرضَةِ ستصيحُ في الأولادِ فيركبونَ درّاجاتِهم ويلوذونَ بالفرار.

ولكنَّ المسؤولَ، عندما طلبَت الرقم، عادَ ليُخبرها أنّ السيّد غودوين غيرُ متاح.

عندما وضَعَت سمّاعة الهاتف صارَ جِدارُ الصمتِ أكثر سماكة. وتحوّلَت أعينُ كلّ الأولادِ في المعاطفِ الرثةِ إليها - لأنّهُم كانوا يحومونَ حولَ مركبتِها، وقد كانوا يعلمونَ أنّها مركبتُها لأنّهُم رأوها وهيَ تُقفِلُها. كانوا يُحاولونَ فتحَها باستخدامِ عدّة مفاتيح. وكانوا يُراقبونَها ليتأكّدوا من تحرّكاتِها. وفي مشهدٍ بطيء الحركةِ، بدَأت ماريا بالتقدُّم نحوَ مركبتِها عبرَ العُشبِ، وكانت كُلّما اقتربَت أكثرَ تراجعوا صاغِرينَ مُشكّلينَ نِصفَ دائرة. أكبَرت ماريا المشهَدَ الراقِصَ الذي أدّوهُ جميعاً ببراعةٍ، كأنّهُم يستجيبونَ لنفس الإيقاع الخفيّ: تقتربُ، فيبتعدون. ثبّتَت نظرَها عليهِم، وأبقَت خطواتِها منتظمةً، ولمّا فتَحَت بابَ مركبتِها، وهُم يُحدّقونَ فيها، فعَلَت ذلكَ بعزمِ ونشوةِ المُنتَصِر. ولمّا جلَسَت في مقعدِ السائقِ، حدَجَت كُلّ واحِدٍ منهُم بنظرة.. واحِداً تلوَ الآخر.. وفي تلكَ اللحظةِ، انحنى واحِدٌ منهُم ورَفعَ يدَهُ إقراراً بما حدَث بينهُم، ورسَمَ بأصبَعِهِ في الهواءِ شكلَ قوس. لاحقاً، ستتذكّرُ ماريا ما حدَثَ في هذه الدقائق القليلةِ في ساحةِ مدينةِ أوكسنارد، وستظلُّ تستذكرُها مراراً وتكراراً وتُعدّلُ كلّ مرّةٍ في سيناريو الأحداث. فكانَ المشهَدُ ينتهي إمّا بصورةٍ سيئةٍ، وإمّا بصورةٍ جيّدةٍ.. تبعاً لِرغبتِها في كلّ مرّة.

-51-

جلَسَت في حُجرتِها في النُّزُل القريبِ من محطّة قطار باسيفيك الجنوبية في أوكسنارد، مُنتظِرَةً اتّصالَ ليس غودوين. كانَ قد أبلغها بأنّهُ سيُهاتفُها في الساعة التاسعة والنصف أو العاشرة، ولكنّها مرَّت بمركبتِها حِذاءَ المسرحِ عصرَ ذلكَ اليوم، وقرأت على ظُلّتِهِ: عرضٌ رئيسٌ في تمامِ الساعة الثامنة مساءً. وهيَ كانت تعلمُ أنّ المقصود بالساعةِ الثامنة هي الساعة الحادية عشرة. ولمّا رنَّ جرسُ الهاتِف كانت الساعة الحادية عشرة إلّا ربعاً، وفي مكالمتِهِ أخبرها أنّهُ سيُعيدُ الاتصال بها بعد نصفِ ساعة. تناولت ماريا قُرصينِ من دواءٍ مهدّئٍ، وغسَلَت وجهها رغمَ أنّها كانت قد اغتَسَلَت قبلَ ساعة واحدة فقط، ووضبَت حُجرتَها الشديدةِ النظافة كأنّها ترغبُ في محوِ أيّ أثرٍ قد يدلّ عليها. وعندما لم يبقَ أيُّ أثرٍ لتمحوهُ، سارَت عبرَ المرأبِ باتجاهِ آلةِ المثلجات قُربَ بِركةِ السباحة، وملأت دلواً ورقياً بالثلج. وبعدما وضعَت الثلجَ على طبقٍ معَ كأسي ماءٍ وزجاجةِ ويسكي، جَلَسَت على السرير وأخذَت تُقلّبُ في دفترِ هواتِفِ أوكسنارد – بورت هوينيمي. فوَجَدَت فيهِ أربعةَ عشرَ اسماً لأفرادٍ من عائلة وايِث، وثلاثة وعشرينَ اسماً لأفرادٍ من عائلة لانغ، وعشرينَ اسماً لأفرادٍ من عائلة غودوين.

ولمّا فتَحَت البابَ، أخيراً، لاستقباله.. تحاشَت النظرَ في عينيه، ودَفَنَت رأسَها في صدرِه. كانا يرتعشانِ كلاهما. صبَّ هوَ المشروبَ في الكأسينِ دونَ أن يضعَ ثلجاً، وجلسا على السريرِ دونَ أن ينظُرَ أحدُهُما في عيني الآخر.

«كِدتُ ألّا أجيء» قال. «هاتفتُكِ على رقم منزِلِكِ عصرَ هذا اليوم، وكُنتُ أريدُ إخبارَكِ بأنّني لن أستطيعَ المجيءَ، فقد ألغَوا العرض».

«أعرِف»

«تعرفين؟»

«كُنتُ على وشكِ إخبارِكَ بأنّني هُنا ولا أطيقُ الانتظار»

«وصلتِ إلى هُنا عصرَ اليوم؟»

«لم يكُن لديّ عملٌ أنجِزُهُ في المدينة» قالت. ثمَّ نظَرَت إليه. «جئتُ عصرَ اليوم لأنّني كُنتُ خائفةً من أن تُهاتِفَني لتُخبِرَني بأنّهُم ألغوا العرض»

«هذا نُزُلٌ رديء» قالَ أخيراً. «فلنخرج من هُنا»

قطَعا بالمركبةِ طريقَ الساحِلِ كلّهِ حتّى أنهكهُما التعب، فتوقّفا وناما كُلٌّ في حضنِ صاحِبِهِ في حُجرةٍ مُطلّةٍ على البحرِ في مورو باي كطِفلَين.

«أنا مُتاحٌ حتّى الغد، يُمكننا أن نذهبَ إلى الساحل» قالَ لها في صباحِ اليومِ التالي.

«يُمكننا أن نذهبَ إلى بيغ سور»

«يُمكننا أن نذهب في نُزهة، ويُمكننا أن نمكُثَ في مأوى»

«يُمكننا أن نبتاعَ حقيبة نومٍ ونامَ فيها على الشاطئ»

«عليَّ أن أهاتِفَ فيليسيا» قال.

«انتظِرْ حتّى أرتدي ثيابي»

ارتَدَت ثيابها وظهرُها إليه، ثمَّ غادرَت حُجرةَ النُّزُلِ وسارَت إلى الشاطئ. كانَ هُنالِكَ غطاءٌ بالوعةٍ منزوعٌ، وكانت المعدّاتُ التي جلَبَها العُمّالُ لرفعِهِ وإعادتِهِ عالقة في الوحل. وقَفَت ماريا، عاريةَ القدمينِ والذراعَين مُرتعِشَةً في ثوبِها القُطنيّ، تراقِبُهُم لمدّةٍ طويلةٍ وهُم يُحاولونَ تحريرَ المعدّات. ولمّا عادَت إلى النُّزُل وجَدتهُ جالساً على السريرِ وقد ارتدى ثيابهُ.

«لا تبكي» قال.

«لا فائدة»

«لا فائدة من ماذا؟»

«لا فائدةَ من كلِّ مخطّطاتِنا»

نظَرَ إليها مطوّلاً. «لاحقاً» قال.

«آسفة»

«لا بأس»

في طريقِ عودتِهما، أخبرَ أحدُهُما الآخرَ بأنّهُما التقيا في الوقتِ الخطأ، وفي المكانِ الخطأ، وأنَّ لقاءهُما لم يكُن موفّقاً لأنّهُ اضطُرّ إلى الكذِبِ كي يُرتّبه، وأنّ لقاءهُما سيكونُ موفقاً في وقتٍ آخر.. في وقتٍ مِثاليٍّ آخر. أخبرَها عن التوتّر الذي كانَ يرزَحُ تحتَ وطأتِه، وأخبرَها أنَّ العرضَ كانَ كارثياً. وهيَ أخبرتهُ أنّها صارت مُبتلاةً بذاتِ اللعنة. تحدّثا عن كيت، وكارتر، وفيليسيا، والطقس، وأوكسنارد، وبُغضِهِ لحُجراتِ النُّزُل، وخوفِها من المكائد. تحدّثا عن كلّ شيءٍ، سوى شيءٍ واحِد: حُجرة النومِ في إينسينو.

-52-

وضعَت ماريا قائمةً بالأشياءِ التي لا تُريدُ إنجازَها أبداً. لا تُريدُ أبداً أن: تتجوّلَ في فندقِ ساندز أو قيصر وحدها بعد منتصف الليل. ولا تُريدُ أبداً أن: ترقُصَ في حفلة، أو تُقيمَ علاقة جنسيّة مازوخيّة إلّا إذا رغِبَت في ذلك، أو تستعيرَ معطفَ فروٍ من آبي ليبسي. ولا تُريدُ أبداً أن: تحمِلَ كلبَ يوركشاير وتتجوَّلَ بهِ في بيفرلي هيلز.

-53-

«أزورُكِ الآن لأنّني سأسافِر، قالَ كارتر. «سوفَ أسافِرُ لعدّةِ أسابيع»
ووددتُ أن أخبرَكِ أنَّ الفيلمَ رُشّحَ في مهرجان كان»
«قرأتُ عن ذلك»
«هل شاهدتِه؟»
«وكيفَ لي أن أشاهِدَهُ وهوَ لم يُعرَض بعد؟ أعني، هل بدأ عرضُه؟»
«ماريا، اللعنة! من أجلِ المسيح! إنَّ الفيلمَ يُعرَضُ كُلّ ليلةٍ منذ شهر،
وأنتِ تعرفينَ ذلك! اللعنة!»
«لا تُسيئ فهمي» قالت ماريا بعدَ صمت.
«لا مهربَ من ذلك!»
كانَ النقاشُ ينتهي بهِما على تلكَ الشاكلة في كلّ مرّةٍ يزورُها فيها، ولكن لاحِقاً (بعدما هجرَها) كانَ طيفُ وجههِ العابِسِ يزورُها ويُحاكي همَّها ويخلُقُ في مخيّلتِها المنكودةِ صُوَرَ الحياةِ العائليّة التي كانَ من الممكن أن يحظوا بها: صورةَ كارتر وهوَ يرمي كرةَ نثارٍ بلاستيكيّةٍ، وكيت وهيَ تعبثُ بالكُرة. كيت وهيَ تبكي. كارتر وهوَ يُمسِكُ كيت من مِعصَمَيها ويُؤرجِحُها. رذاذ البخّاخاتِ والكُرةِ البلاستيكيةِ وهيَ تسقُطُ ويدي كيت السمينتين وهما تحاولانِ التقاطَ الكُرةِ فتُخطئانِ كعادتِهِما. صورةَ إطارٍ متجمّد. كيت محمومة، وكارتر وهو يضعُ على جبينِها إسفنجةَ ماءٍ باردٍ بينما ماريا تُحاولُ مُهاتفةَ الطبيب. ذكرى ميلاد كيت. كيت ضاحِكةً. كارتر وهو يُطفئُ شموعَ الميلاد. كانت كلّ تلكَ الصور تُخلَقُ وتموتُ في ذهنِ ماريا مثلَ شرائحِ

الصورِ التي تُعرَضُ في الحُجراتِ المُعتمة. كانوا سيَبدونَ عائلةً سعيدةً لو أنّهم كانوا شخصيّاتٍ في فيلم.

«اسمع» قالت ماريا لِكارتر في الليلةِ التي سبَقَت مغادرتَهُ إلى كان. كانت تؤجّلُ مهاتفتهُ حتّى منتصفِ الليل، وأجبرَت نفسَها أخيراً على الإقدام. «الفيلم مُتقَن جداً. ذهبتُ إلى دارِ عرضٍ وشاهدتُه. إنّهُ فيلمٌ جميل»

حلَّ صمت. «إن أردتِ التواصُلَ معي، هاتِفي بي زي» قال. «هوَ يعرفُ أينَ سأكون»

«الفيلم. لقد أحببتُه»

«حسناً. شُكراً لكِ»

«ما المشكلة؟»

«لا عليكِ يا ماريا» قالَ بصوتٍ مُتعب. «لم تصدُر أيّةُ صحيفةٍ في لوس أنجلوس كلّ الأسبوع»

خلالَ الأسابيع القليلة التالية ابتاعَت ماريا صحيفةَ ديلي فاراييتي وصحيفةَ هوليوود ريبورتر، ونقّبَت فيهِما باهتمامٍ بحثاً عن أيّ ذِكرٍ لِكارتر. بدا أنّهُ ذهَبَ، بعدَ كان، إلى لندن.. ثمّ إلى باريس مرّةً أخرى، حيثُ ظهَرَ في لقاءٍ تلفزيونيّ ليُناقِشَ فيهِ نظريّة المؤلّف.

«سوفَ يمكُثُ كارتر أسبوعاً إضافياً في باريس، كما تعلمين حسبما أظنّ» قالت هيلين عبرَ الهاتف.

«المؤلّفُ الجوّال» قالت ماريا.

صمَتت هيلين بُرهةً. «هاتفهُم بي زي ليلةَ أمس، ومن الواضِحِ أنّها اضطرّت للمبيتِ هُناك كي يتناقشا حولَ الفيلم»

«أفترضُ أنّ «كان» أبهَجَته»

«لم يتحدّث عن ذلكَ كثيراً، ولكنّها قالت..»

«أنتِ تفترضينَ أنّكِ تُفيدينني بكلامِكِ يا هيلين، ولكنّكِ لا تفهمين»

قرقرَت هيلين. «أفهمُ ماذا؟»

عصرَ ذلكَ اليوم، تعرَّضت ماريا لحادثِ سيرٍ بمركبتِها الكورفيت،

وتلقّت اتصالاً هاتفياً من البنكِ بخصوصِ حِسابِها المكشوف، وأعلَمَتها الصيدليّةُ أنَّ طبيبها لن يُجدّد لها المنوّمات. وقد أشعَرَها ذلك بالارتياح، إلى حدٍّ ما.

-54-

وقَفَت ماريا تحتَ الشمسِ في الشارعِ الغربيّ وانتظَرَت العميلَ الشابّ من مكتبِ فريدي شايكين وهوَ يرجِعُ بمركبتِهِ الفولسفاغن ليوقِفَها حيثُ كانت هيَ واقفةً قُربَ مبنى الكُتّاب. كانَ الطقسُ حارّاً ولم يُعلِم أحدٌ حارسَ البوّابةِ بقدومِها وكانت هُنالكَ لطخةٌ على قميصِها وكانت هيَ منزعجةً ممّا حصلَ معها عند البوابة ومِن أنَّ فريدي شايكين لم يأتِ بنفسِه. كانَ قد رتّبَ لها لقاءً مع مُخرجٍ أرادَ أن تشتركَ معهُ في فيلمِ درّاجات، ولذلكَ كانَ من الأولى أن يحضُرَ بنفسِه. فهيَ لم تكُن ترغبُ حقاً في الاشتراكِ في فيلمِ درّاجاتٍ آخر.

«يبدو أنّنا فوّتنا موعِدنا معه» قالَ العميلُ الشابّ. لم يكُن قد أطفأ المحرّكَ بعد.

«ماذا تعني فوّتنا موعِدنا معه؟»

«أعني أنّهُ ربّما غادَرَ لتناول وجبة الغداء» كانت نظراتُ العميلِ قلِقة. «والحقُّ أنّ لقاءنا معهُ لم يكُن مؤكّداً مئةً في المئة، فقد أخبَرَ فريدي أنّهُ قد يكونُ ملتزماً بموعِدٍ آخر مع الفتاة التي ستؤدّي دورَ البطولة في الفيلم»

أرجَعَت ماريا شعرَها إلى الوراء، ولاحظت أنّ العميلَ يتحاشى النظرَ في عينيها. «ما الدور الذي يُريدونني أن أؤديهُ بالضبط؟» قالت أخيراً.

«المُعلّمةُ في المدرسةِ الثانوية، لا بدّ أن فريدي أخبركِ بذلكَ سلفاً. لقد قرأتِ النصّ، وتعرفينَ الدّور، أما دورُ البطولة فهوَ لِفتاةٍ مُراهقة. أعني أنّ المعلّمة، هيَ... هيَ البطلةُ الحقيقيّة»

«المُعلّمة» قالت ماريا. «ومن سيؤدّي دورَ الأمّ الملاك؟»

«عشيقةُ المُخرج»

«يجبُ أن أذهب الآن» قالت ماريا. ودونَ أن تسمَع ردّه، استدارت وسَارت باتجاهِ البوّابة. ولمّا دخَلت مركبتَها، قادتها حتّى وصلَت إلى رومين، ثمّ أوقفَتها، ووضعَت رأسَها على عجلةِ القيادة، وانتَحَبَت كأنّها لم تنتحِب مُذ كانت طفلةً صغيرة، انتحَبَت بأعلى صوتِها. انتحَبَت لأنّها شعَرت بالذّلّ والهَوان، وانتحَبَت حُزناً على أمّها، وحُزناً على كيت. وانتحَبَت لأنَّ شيئاً ما دهاها، هُناكَ تحتَ شمسِ الشارعِ الغربيّ: هيَ لم تعُدّ الشهورَ عامِدةً، ولكنّها لا بدّ عدّتها دونَ أن تعي.. فقد كانَ ذلكَ اليوم هوَ اليوم المُفترض لوِلادة طِفلِها المُجهَض.

-55-

«أريدُ أن أخبرك حالاً أنّني لن أفعَلَ أيَّ شيءٍ مرّةً أخرى» قالَ إيفان كوستيللو في البداية. «إن كُنتِ تودّينَ العيشَ بتلكَ الطريقة، فلا بأس. لن أعطيَكِ مالاً، ولن نتناولَ وجباتِ الفطورِ معاً ولن نتزوّجَ أبداً ولن نُنجِبَ أبداً. وإن جَنَيتِ مالاً، فسأبذّرُه»

قالت إنّها تُريدُ العيشَ بتلكَ الطريقة.

«وماذا إن فعَلت» قالت بعد مدّة.

«فعلتِ ماذا؟»

«حمِلت. حينَها سأُنجِب»

«كلا!» قال.

-56-

«ربّما في المرّةِ القادمة» قالَ المُعالجُ بالتنويم. «في الأسبوعِ القادم»

«لن أحضُرَ في الأسبوعِ القادم» لم تنظُر ماريا إليه. «لن أستطيعَ الحضورَ بعدَ اليوم»

شاهَدَها المُعالِجُ إذ تفتحُ حقيبَتَها، وتُخرجُ منها مفاتيحَ مركبتِها، وتُسقِطُها أسفَلَ أريكةٍ ثمَّ تبحثُ عنها. كانت حرارةُ الحُجرةِ مرتفعة، غيرَ أنَّ المُعالجَ كانَ يرتدي مِعطَفينِ صوفيّينِ محبوكَين ويجلسُ قُربَ المدفأة.

«هذا ليسَ في مصلحتك» قال.

«ماذا؟»

«إنكِ عاجِزةٌ عن التغلّبِ على الأبوابِ المُغلقةِ أمامكِ. على فشلِكِ. هذا ليسَ في مصلحتِكِ»

«يجبُ أن أغادرَ الآن»

هزّ بكَتفيه. ولمّا هبَّت واقفةً كانَ هوَ يصبُّ الماءَ في كأسٍ يحتوي شيئاً من خَمرِ بيرنود، فشكّلا معاً سائلاً حليبياً.

«بعضُ الناسِ يُقاوِمون» قال. «وبعضهُمُ يرفضونَ المعرفة»

قادَت ماريا مركبتَها إلى حانة نيو هيفين في صانسيت، وأجرَت من هُناكَ مكالمةً هاتفيّةً ويداها ترتعشان.

«أنا في حاجة إلى المساعدة» قالت. «إيفان، أنا في حاجةٍ ماسّة إلى المساعدة!»

-57-

«من صديقُكِ؟» قالَ إيفان كوستيللو. «مَن يُحبُّكِ؟»

كانت الساعةُ الخامسة تماماً في لوس أنجلوس والثامنة تماماً في نيويورك، وكانَ هوَ ثمِلاً. كانَ عليها ألّا تُهاتِفه. فهِيَ لم تكُن مُعجبةً بهِ. ولم تستطِع منحَهُ الجوابَ الذي أرادَ سماعَه. لم تستطِع أن تقولَ لهُ: أنت.

«لستُ أدري» قالت.

«ماذا دهاكِ!»

«أردتُ فقط أن أتحدّثَ معك»

«أردتِ فقط...» صمَتَ هُنيهة، فعَلِمَت أنّهُ سيوبّخُها. «أن تتحدّثي معي»

لم تنبِس بكلمة. كانَت حانة نيو هيفين خاليةً وتفوحُ منها رائحةُ المعقّمات، وكانَ الساقي يرقُبُها بِريبة.

«تعنينَ أنّك تُريدينَ التحدّثَ معي مباشرةً دونَ أن تأخُذي منّي موعداً مسبقاً؟»

«حسناً. فهِمت»

«تشعُرينَ بأنّكِ في مزاجٍ جيّدٍ للحديثِ معي؟ لستِ مريضة؟ لستِ ناعسة؟ لستِ خارجَ المدينة؟ لستِ غيرَ متاحةٍ؟ بحقّ الجحيم؟»

«إيفان...»

«سحقاً لإيفان!»

«حسناً» قالت. «لا بأس»

«هل تريدينَ أن تعرفي رأيي في حياتِكِ؟»

«لا» قالت. ولكنَّهُ كانَ قد استأنفَ حديثهُ والرذاذُ يتطايرُ من فمِهِ في سمّاعةِ الهاتف.

في صباحِ اليومِ التالي، وجَدَت أنَّهُ تركَ لها أربع رسائل صوتيّة، فلَم تُجب ماريا على أيّ منها. ولكنّها هاتَفَت لاري كوليك.

-58-

جلَسَت ماريا على مقعدٍ في حمّامِ السيّدات في فندقِ فلامينغو بصُحبةِ الخادِمِ ورجلٍ كوبيّ كانت تُمضي معهُ الساعات المتبقية ما بينَ لقائها السابق في الساعةِ العاشرة، وموعِدِها الغراميّ اللاحِق في منتصفِ الليل، وذلكَ لأنّها لم تستطِع العودةَ إلى طاولة الكرابس.

«مثل مقبرة» قالَ الكوبيّ.

هزّ الخادِمُ بكتفيه. «كُلُّ المواضِعِ فيهِ متماثلة»

«ولكنَّ الأمرَ مختلفٌ في فندقِ ساندز، لا يُمكنني أن أحتمِلَهُ الليلة»

«فلتُساهم في عملٍ تجاريّ في ساندز»

نظَرَ الكوبيّ إلى ماريا. «هل أنتِ مريضة؟ تحتاجينَ شيئاً؟»

«أنا في خيرِ ما يُرام» قالت ماريا. «شُكراً لك»

لم يكُن في استطاعتِها العودة إلى الطاولة، لأنَّ بيني أوستن كانَ هُناك. وهيَ لم تكُن تتخيّلُ أن ترى بيني أوستن مجدّداً: ففي مخيّلتها كانَ ما يزالُ جالساً في مركبةِ أبيها، أو واقِفاً إلى جانبِ أمّها وأبيها على رصيفِ إقلاعِ الطائرات في مطارِ مكارين يُلوّحُ للنافذةِ الخطأ. أحسّت أنَّها ستقترفُ كبيرةً إن هيَ هرعَت إليهِ في فندقِ فلامينغو. «ماريا؟» نادى حينَ رآها. «ماريا؟ أهذهِ أنتِ؟» بدا أقصَرَ قامة، وأشدّ نحولاً وصَلَعاً. كانَ رجُلاً واهِناً يرتدي ربطةَ عُنقٍ. «يا إلهي كم تُشبهينَ فرانسين» ظلَّ يقول. «يا إلهي، أنتِ حقاً ابنتُها» ثمَّ سألَها إن كانت متزوّجة. هزَّ بكتفيهِ وقالَ إنَّ مسارَ الحُبّ الحقيقي ليسَ مُستوياً ولا مستقيماً. طلبَ كأسي كوبا ليبري، وتحدّثا عن الماضي

قليلاً، ثمَّ نجحَت أخيراً بالهَرَب. ما كانَ ليُمانعَ البقاءَ بصُحبتِها، محاولاً المقامرةَ بما لديها من رقاقات. تلكَ طبيعته. كانَ سيُقامِرُ برقاقاتِها حتّى آخرِ رمقٍ، ثمَّ كانَ سيُقامرُ برقاقاتِهِ من أجلِها.. مُنتظراً.. حامِلاً كأسَ كوبا ليبري في يدِهِ حتّى يذوبَ فيها الثلج. كانَ يمكن لبيني أن ينتظرَ هُناكَ كلّ الليل. كانَ مستعداً ليُراهِنَ كُلَّ أحدٍ في فندقِ فلامينغو على أنَّ ابنةَ هاري وفرانسين وايِث لن تتركَهُ وتهرُب، وكانَ سيكونُ واثقاً من فوزِهِ بالرّهانِ مثلما يثقُ بشروقِ الشمس كلّ صباح.

عندما سمِعَت ماريا أحداً ما يُناديها، طلبت من الكوبيّ ولّاعةً دونَ أن تُعلِمَهُ أنّها هيَ ماريا وايث. ربّما كان بيني هوَ من ناداها، ولكنَّ المُناداةَ لم تكُن أحد أساليبِه، بل كانت أحد أساليب لاري كوليك. دخّنَت سيجارةً وحاولت ألّا تتخيّلَ بيني وهوَ يسمعُ اسمَها يُنادى فيلتِفتُ، مُعدّلاً ربطةَ عُنُقِهِ ومُتوقّفاً عن المقامرةِ، مُتسائلاً عمّن يُنادي على ابنةِ هاري وفرانسين، ومُنتظراً إطلالَتَها عليهِ مجدداً كي تُعرّفَهُ على صديقِها المُنادي وتستأذنهُ في المغادرة. بعدما أنهَت ماريا سيجارتَها، ركِبَت في مصعدٍ خلفيٍّ، أوصلَها إلى شقّةِ لاري كوليك.

-59-

«أخبريهِ أن يصعَدَ إلينا» قالَ لاري كوليك، وهوَ يُناوِلُها كأسَ نبيذ بينما كانت تنتظرُ أن يُناديَ عاملُ الهاتفِ على بيني أوستن. في الشقّةِ المجاورةِ، كانَ هُنالكَ عددٌ من أصدقاءِ لاري كوليك المهندمين، أحدُهُم ذلكَ الكوبيّ الذي التَقَتهُ ماريا في حمّامِ السيّدات، كما كانت هُنالكَ فتاتان. لمّا رآها الكوبيّ تصرّفَ كأنّهُ لا يعرِفُها. «ستُفاجئينَ من أنّ أمثالهُ يستهوونني!»

«لن يُفاجئني ذلكَ أبداً. قُل لذلك التافهِ أن يُخفض صوتَ الموسيقى»

انتظَرَت. «بيني؟» نادَت بصوتٍ عالٍ كي تتفوّقَ على ضجيجِ طاولات الكرابس في الأسفل. «بيني، شعرتُ بالغثيانِ، و...»

«يا إلهي، ماريا، لماذا لم تُخبريني.. لديّ صديق.. طبيبٌ منزليّ في مينت»

«أحتاجُ إلى قليلٍ من الراحة فقط. بيني؟ هل تسمعُني؟ تعالَ لزيارتي عندما تأتي مجدّداً إلى لوس أنجلوس، اتفقنا؟ أتعِدُني؟»

«بالطبع يا عزيزتي. يُسعدني ذلك»

أحسَّت ماريا بالعار. لم يسبق أن جاءَ بيني أوستن إلى لوس أنجلوس قبلَ هذه المرّة. «اسمع» قالت فجأةً. «هل تتذكّرُ آخرَ مرّةٍ رأيتني فيها؟ أتذكُر؟ أوصلتَني أنتَ وأمّي وأبي إلى مطارِ مكارين؟ وقبلها تناولنا عشاءَ الأحد في المنزل؟ أتذكُر؟»

«بالطبع يا عزيزتي، أذكُر. في المرّةِ القادمةِ سنستذكرُ كلّ شيء»

استلقت ماريا على السريرِ لمدّةٍ طويلةٍ مُحدّقةً في لوحةٍ زيتيّةٍ كبيرةٍ

لمُهرّج. بدا لها أنَّ اليومَ الذي تناولوا فيه عشاءَ الأحد وذهبوا معاً إلى المطار لم يعُد لهُ وجودٌ حقيقيّ، ولم يكُن لهُ وجودٌ حقيقيٌّ قطّ: فقد كانت الوحيدةَ التي تتذكّرهُ بتفاصيله التي كانت. استغرقت ماريا في تلكَ الفكرةِ مطوّلاً، ثمَّ نهضَت وفتحت الباب. فدخَلَ كوميديانٌ تافهٌ بصُحبةِ ثلّةٍ من حاشيته ومعهُم فتاةٌ كانت ماريا قد رأتها تحتسي الشرابَ في الردهة.

«موهوبةٌ جديدة» قالَ الكوميديان وهوَ ينظرُ إلى ماريا.

«ليـــت موهوبة» قالَ لاري كوليك.

عند بزوغِ الفجر، أيقَظَت لاري كوليك وأخبرتهُ أنّها ستُسافِرُ في طائرةِ الساعةِ السابعة صباحاً.

«ابقي هُنا» قال. «ماذا دهاكِ، هل تودّينَ أن أعطيكِ مالاً لقاءَ وقتِكِ الذي تُمضينهُ معي أم ماذا؟ لم أضاجِعكِ الليلةَ الماضية؟ وإن يكُن!»

«لم أعنِ ذلك»

«افعلي ما تشائين» قالَ لاري كوليك.

-60-

في إحدى الحفلاتِ في أيّار، لم تُغادِر بصُحبةِ مدرّب الرقص الذي اصطحبَها إلى الحفلةِ، بل بصُحبةِ ممثلٍ لا تعرفه. رقصا معاً وتشاركا سيجارةَ حشيشٍ في الحديقةِ فأخبرَها أنّهُما يجبُ أن يُغادرا الحفلةَ ويذهبا إلى منزله. كانَ لديهِ عدّة أصدقاءٍ هُناك. وكانت ماريا ترتدي لباسها الفضيّ الذي ابتاعتهُ ليُشعِرَها بالنشاط، وكانَ شعرُها مُنساباً على كتفَيها، وكانت قدماها حافيتين. ولمّا ركِبَت مع الممثل في مركبتِهِ الفيراري وقادها صعوداً عبرَ الوادي، غمرها إحساسٌ بالنشوة للمرّةِ الأولى منذ زمن. كانَ مسجّلُ المركبةِ يُعيدُ أغنيةَ «ساعة منتصف الليل» مراراً وتكراراً، ولمّا وصلا إلى منزلِهِ، قامَ الممثل بتعريفِها على الأشخاصِ الثمانية -أو العشرة- الذينَ كانوا في حُجرةِ الجلوس، ومن بينهِم مايرا. «هذه مايرا» قال. «عثرتُ عليها مؤخراً في مكانٍ ما». كانَ الجمعُ يتشاركونَ أربع أو خمس سجائر حشيشٍ في الحُجرة، وشاركتهُم هيَ بدورِها، ثمَّ ذهبت لتبحثَ عن أيّ عُلبة كوكا كولا. رقَصَت في المطبخِ وَحدَها، وشعَرَت بدُوارٍ، غيرَ أنّها لم تقَع. أحبَّت كونَهُ لا يعرفُها. لم تكُن معجبةً بهِ كثيراً، إلّا أنّها أحبَّت كونَهُ لا يعرِفُها.

«هيا نتضاجع» قالَ لها الممثلُ وهوَ واقفٌ في الممرّ.

«تعني أن نتضاجَعَ هُنا حيثُ نحن؟»

«لا، بل في السرير» بدا منزعِجاً.

هزَّت برأسِها رافضةً.

«فلنفعلها هُنا إذاً» قال. «وقنّينة الكوكا كولا في يدِكِ»

ولمّا تضاجعا أخيراً، تضاجَعا في السرير، وفي اللحظةِ التي سبقَت إمناءَهُ، مدَّ يدَهُ أسفلَ الوسادة وأخرَجَ كبسولةَ مخدّراتٍ وحطمَها قُربَ أنفِهِ واستنشقَها بسُرعة مُغمضَ العينين.

«لا تتحركي» قال. «قُلتُ لكِ لا تتحركي»

لم تأتِ ماريا بأيّة حركة.

«مُدهش» قال. كانت عيناهُ ما تزالان مغمضتين.

لم تنبس ماريا بكلمة.

«أيقظيني بعدَ ثلاث ساعات» قال. «بلسانِكِ»

بعدما خلَدَ إلى النوم، ارتدت ثيابَها بهدوءٍ، وغادرت المنزل. وصَلَت إلى الطريقِ ثمّ تذكّرَت أنّها لم تأتِ بمركبتِها. ثمَّ وجَدت مفاتيحَ مركبةِ الفيراري في داخِلِها، فركِبَتها وقادَتها. تردّدت قليلاً عندما خرجَت إلى طريقِ الوادي الرئيس، فلم تنعطف ناحية بيفرلي هيلز، بل ناحيةَ الوادي.. والطريقِ السريع. بزغَ الفجرُ قبلَ أن تصِل إلى فيغاس. ولأنّها توقّفَت في فيغاس لشراءِ السجائر، وصَلَت تونوباه بعدَ الساعة الثامنة. خالجَها إحساسٌ ما يدفعُها لزيارةِ قَبرَي أمّها وأبيها، ولكنّهُما لم يكونا مدفونينِ في تونوباه. بل كانا مدفونَينِ في سيلفر ويلز.. التي كانَت. وعلى أيةِ حال، فقد أوقِفَت بسببِ تجاوزِها حدّ السُّرعةِ المسموحِ خارجَ تونوباه، ولمّا رأى الشُّرطيُّ ثوبَها الفضيّ وقدَمَيها الحافيتينِ ومركبةَ الفيراري المسجّلة باسمِ شخصٍ آخر، ارتأى أن يتأكّدَ ما إذا كانَ أحدٌ في كاليفورنيا قد أبلَغَ عن سرِقةِ المركبة أم لا.. وقد كانَ الممثلُ قد أبلغَ عن سرقتِها بالفعل.

-61-

سَمحوا لها بإجراءِ مكالمةٍ هاتفيّة واحِدة، فاختارَت مُهاتفة فريدي شايكين. لم يكُن من السهلِ على فريدي تصحيحُ الأمورِ، لأنّهُم حينَ فتّشوا المركبةَ وجدوا فيها مُخدِّرات، ولكن بحلولِ مغيبِ ذلكَ اليوم، كانت قد بُرِّئت وعادَت عبرَ الصحراءِ برفقة فريدي على متنِ طائرة ليرٍ كانَ قد استعارَها من أحدِ العُملاء. كانَ فريدي قد تولّى الأمرَ وأنهاهُ ببراعة. فذهَبَ فريدي بمركبتِهِ إلى عِزبة ماليبو حيثُ كانَ الممثلُ يُصوّرُ فيلم ويسترن، وهُناكَ أخبرَ الممثلَ بهويّة الشخص الذي يجبُ أن يُهاتِفَهُ كي يتنازَلَ عن الشكوى. وظلّ فريدي هُناكَ منتظراً، حتّى نفّذَ الممثل مطلَبَه. ثمَّ تواصَلَ فريدي مع أحدِ الديمقراطيين الكِبار، الذي تواصَلَ بدَورِهِ مع أحدٍ ما في نيفادا قامَ بشَطبِ ذِكرِ المخدّرات من تقريرِ الشرطة. والآن، بينما ارتَفَعت الطائرةُ في الجوّ، كانَ فريدي يُناوِلُ ماريا مشروباً. وكانت ما تزالُ ترتدي ثوبَها الفضّي، وما تزالُ حافيةَ القدمين، وكانَ وجهُها مُلطّخاً بالتّراب.. وما إن ارتَشَفَت مِنَ النبيذِ قدراً يسيراً حتّى تقيّأت كلّ شيء.. كُلّ أقراصِ الدواء، وكُلّ ما لم تأكلهُ، وكُلّ الشرابِ، وكُلّ الخوفِ، وكُلّ ما كانت تشعُرُ بهِ تجاهَ ذلكَ الممثل وما كانت تشعُرُ بهِ حينَ رفَعَت المُفتّشةُ أصبعها أثناء بحثِها عن المخدّرات.. تقيّأت كلّ ذلكَ في سيلٍ مُخاطيٍّ على أرضيّةِ الطائرة التي استعارَها فريدي ضِمنَ مساعِيهِ الحثيثةِ لحِمايةِ كارتر. بعدها، راقَبَها فريدي وهيَ تمسحُ قيأها عن الأرضيّة.

«لا أفهمُ الفتياتِ أمثالك» قالَ أخيراً.

وضَعَت منشفةً على فمِها تحَسُّباً، ولكنّ معدَتَها هدَأت.

«أعني أنَّ هُناكَ شيئاً ما في شخصيّتِكِ يا ماريا، وربّما أجرؤُ على تسمِيَتِها..»

صمَتَ فريدي هُنيهةً، وأشعَلَ سيجارةً بولّاعتِهِ الذهبيّة. ولمّا استأنفَ كلامَهُ حرصَ على أن تكونَ كُلّ كلمةٍ محسوبة. «أجرؤُ على تسميتِها: شخصيّةً مُدمّرةً للذات»

أغمَضَت ماريا عينيها. «أتدري يا فريدي؟»

«ماذا؟»

«ربّما أجرؤُ على تسمِيَتِكَ..»

أغلَقَ فريدي شايكين ولّاعتهُ الذهبية، وابتَسَم.

أمسَكَت ماريا بيدِهِ، ونامَت.

-62-

وصَلَت ورودٌ كثيرةٌ من الممثّل، أو بالأحرى مِن مُديرِ أعمالِه. وعلِمَت ماريا أنَّ مديرَ أعمالِهِ هوَ من أرسَلَها لأنَّ اسمَهُ كانَ مذكوراً في بطاقةِ الاستلام.

«مرحبا يا حبيبتي» قالَ الممثلُ عبر الهاتف. «لم يجدُر بكِ أن تتصرّفي بكلّ تلكَ الفظاعة»

«لا أعرفُ عمَّ تتحدّث»

«أتحدّثُ عن فريدي شايكين، أتى إليَّ في العاشرةِ صباحاً وألقى باللائمةِ عليّ وعاقَبَني بأنّهُ لن يجمَعَني بأيٍّ من عُملائهِ مجدداً. كُنتُ ساعتَها أُصوِّرُ فيلماً»

«وأنا كُنتُ في السجن»

«مهلاً أيتها العاهرة» قالَ الممثل، رافعاً صوتَه. «أنتِ لم تخبريني بهُويّتِكِ الحقيقيّة»

«سمِعتُ أنّكِ حظيتِ بصباحيّةٍ غير اعتياديّة» قالت هيلين.

صارت هيلين تتردّدُ إلى المنزلِ كُلّ الوقت. وكانت ماريا تتظاهَرُ، أحياناً، بأنَّ المنزلَ خالٍ.. بيدَ أنَّ هيلين دخَلَتهُ هذا الصباح دونَ أن تقرعَ الجرس، وصعَدَت إلى حُجرتِها دونَ إذن. جَلَسَت على حافّة السرير وتناولت سيجارة.

«ومن أينَ سمِعتِ بذلك؟» قالت ماريا أخيراً. كانت ماريا قد اغتسَلَت عدّةَ مرّاتٍ خلال الساعات القليلة الفائتة، ما جَعَل بشرتَها تبدو رطبةً تحتَ غطاءِ السرير.. ولكنَّ رائحةَ هيلين وسيجارتها جعلتا ماريا تشعُرُ بالاتساخِ مجدداً.

«أعني، ماذا سمعتِ تحديداً؟»

«ذلكَ فقط. هاتَفَني كارتر من نيويورك وأخبرَ بي زي»

«أنا لم أخبر كارتر شيئاً!»

«أخبرهُ فريدي، كالعادة» تناولت هيلين أحمَرَ شِفاه ماريا وجرَّبَتهُ على مِعصمِها. «أعني أنَّ فريدي قلِقٌ للغايةِ عليكِ، وكارتر أيضاً قلِقٌ للغايةِ عليكِ، وكذا بي زي وأنا..»

«أنا في خيرِ حال»

«بالتأكيد. أنتِ في خيرِ حال فعلاً. ولا غرابةَ مُطلقاً في أنّكِ مُختبئةٌ هُنا تحتَ هذه الأغطية حتّى الآن (الساعة الثالثة عصراً) ترتعِشين. ولا غرابةَ مُطلقاً في أنّكِ غادرتِ إحدى الحفلاتِ بصُحبةِ جوني واترز، وانتهى بكِ الحالُ في السجن في نيفادا، في الساعة الثامنة من صباحِ اليوم التالي. لا غرابةَ حقاً!»

«أعاني صُداعاً. وذلكَ سببُ بقائي في السريرِ حتّى الآن.. الصّداع»

«سوفَ أُحضِرُ لكِ قُرصَ دارفون»

سحَبَت ماريا الغِطاءَ حتّى غطّت بهِ ذقنَها.

«ما أريدُ سوى مُساعدتكِ يا ماريا»

«سأكونُ في خيرِ حال» اعتدلت ماريا في جلستِها، ووضعت يدها على ذراعِ هيلين. «صدّقيني يا هيلين. أعِدُكِ»

«حسناً. لا بأس. سأغادرُ الآن» وقَفَت هيلين، ووضّبَت المكانَ الذي جلَسَت فيهِ من السرير، ثمَّ حدّقَت في صورَتِها لمدّةٍ طويلة في مرآةِ بابِ حُجرةِ الملابس. «كيفَ وجَدتِ فحولةَ ذلكَ المختلّ جوني واترز؟» سألَت أخيراً.

خلال الأسبوعِ التالي، هاتَفَ فريدي شايكين عدداً من مُنتجي المسلسلاتِ التلفزيونيّة ليسألهُم «معروفاً شخصيّاً من أجلِ كارتر» وهوَ أن يوظّفوا ماريا في بعضِ الأدوار، وإن كانت قصيرة. «فقط كي تُشغِلَ نفسَها عن إيذاءِ نفسِها» أخبرَ فريدي كُلَّ واحِدٍ منهم. «فإنّنا نتعاملُ هُنا مع حالةٍ قد تكونُ لديها ميولٌ انتحاريّة». علِمَت ماريا بشأنِ تلكَ المكالمات، وذلكَ لأنَّ هيلين أخبرتها بشأنِها.

«رأيتُ صورةً لكِ اليوم» قالت هيلين.

«أين» بدا لها، كُلّما نزلَت السلالِمَ أنَّ هيلين موجودةٌ هُناك.

«أتعرفين وكالةَ التوظيف في بيفرلي؟ تلكَ التي سرَقَ فيها ذلكَ الغواتيماليُّ منكِ العازلَ الأنثويّ؟»

«لا أعرف» لم ترغب ماريا في استذكارِ ذلكَ الغواتيماليّ الذي سرقَ عازلها الأنثويّ.

«بل تعرفين. تلكَ الوكالةُ التي كانت تُلصِقُ على جُدرانِها صوراً من مواقع التصوير؟ والزبائن الرّاضين؟ على أيةِ حال، الآن هُم يُلصقونَ على الجِدارِ صورةً لكِ.. موقّعَةً بِـ: بالتوفيق يا ماريا وايث»

«حسناً» قالت ماريا. «لم أعتقِد أنّكِ ستأتينَ إلى المدينة مجدداً اليوم»

نظَرَت هيلين إليها وقرقرَت. «بي زي أرسَلَني» قالت أخيراً. «يُريدُ منّي بي زي أن أقنِعَكِ كي تأتي لقضاء بضعة أسابيع عند الشاطئ»

لم تنبس ماريا بكلمة.

«بدَوتِ أصغرَ بسنواتٍ في تلكَ الصورة. الحقُّ يُقال» قالت هيلين، وضحِكَت ثانيةً. «بالتوفيق يا ماريا وايث»

كُتِبَ في الملاحظة: *«عزيزتي ماريا، لا أعرفُ متى سآتي إلى لوس أنجلوس، ولكنّني أحببتُ أن أعطيكِ رقماً هاتفياً يُمكنُكِ أن تتّصلي عليهِ إن أتيتِ إلى نيفادا ثانيةً واحتجتِ إلى أيّ مساعدة. لديَّ بضعةُ أغراضٍ تعودُ إلى أبيكِ وأريدُ أن أعطيَكِ إيّاها. ولأنّني أعتبرُكِ ابنةً لي، ستكونُ هُنالِكَ تغييراتٌ غيرُ متوقّعَة يوماً ما، ولنأمَل أنّها لن تحدُثَ عمّا قريب. خُذي كُلّ أوراق أبيكِ وشهاداتِهِ المعدنيّة، لن تُحصّلي من ورائها شيئاً الآن.. ولكن من يدري.. فقد سمِعتُ مرّةً عن رجُلٍ كانَ يملِكُ معادِنَ بيتشبلند المُتخمةِ باليورانيوم، ويحسبُ أنَّ ما لدَيهِ غيرُ ذي قيمةٍ.. ولكنَّ حالَهُ اختَلَفَ بعدها. اتّصِلي على الرقمِ المكتوبِ في الأسفل واطلُبي التحدُّثَ إلى بيني – الرقمُ يعودُ لجارةٍ لي، وهيَ تطبُخُ لي أحياناً. لكنها لا تُشبِهُ أمّكِ. ها ها. صديقُكِ بيني سي أوستن»*

كانت ماريا تُرهفُ السمع لحديثِ شخصٍ ما، وبينَ الحينِ والآخر تسمَعُ

نفسَها وهيَ تَرُدُّ، بما حسِبَتها، ردوداً لائقة. ولكنّها في الغالبِ كانت تتمايلُ بخفّةٍ مع أنغامِ الموسيقى وتتساءلُ عن مكانِ كأسِ شرابِها لمّا أخذَتها فيليسيا غودوين بغتةً من ذراعِها.

«سوفَ نُغادرُ الآن يا ماريا. سوفَ نوصِلُكِ»

«لديَّ مركبة. شُكراً جزيلاً. سأتدبّرُ أمري»

«ليس؟» نادَت من فوقِ كتِفِ ماريا. «تعال»

تناولت ماريا كأسَ شرابِ شخصٍ آخر، وابتسَمَت لِليس عبرَ فيليسيا.

«مشهدٌ جماهيريّ» قالت. «رحّبوا بالرؤساء».

«لقد أتيتِ معنا أنا وفيليسيا يا ماريا. سوفَ آتيكِ بمركبتِكِ في الغد»

«لقد أتيتِ معنا أنا وفيليسيا يا ماريا. سوفَ آتيكِ بمركبتِكِ في الغد»

وضعَت ماريا الكأسَ من يدِها، ونظرَت إليهِ مطوّلاً.

«أنا لم آتِ معكُما» قالت بوضوح. «والحمدُ للمسيح!»

بعد ذلك، بدأت بالبُكاء.. وكانت هيلين ممسكةً بذراعِها بينما بي زي يحمِلُ مِعطَفَها.

«ظننتُ أنّ الأمرَ يستحقُّ أن يُذكَر» همَسَت فيليسيا غودوين.

«انسي الأمر» قالت هيلين. ووضَعَت ماريا رأسَها على كتِفِ هيلين، شاكِرَةً، وسمَحَت لهُم باقتيادِها إلى الخارج. وفي المركبةِ تقيّأت في حضنِ هيلين، وأخبرَت بي زي أنّهُ رجُلٌ مُنحطّ.

عندما استيقَظَت قُبيلَ الفجرِ في حُجرةِ نومِ هيلين، وجَدَت أنَّ أحدهُم خلعَ عنها ملابِسَها وغسَّلَها ورطَّبَ جسمَها. في البدايةِ ظنّت أنّها وحدها في الحُجرة، ولكنّها ما لبِثت أن رأت بي زي وهيلين مستلقيينِ معاً على أريكة. لم تستطِع أن تتذكَّرَ، إلّا لماماً، كيفَ اجتمَعَ بي زي وهيلين معاً على الأريكة. ولِكَي تمحُوَ تلكَ الذكرى الباهتة من مخيّلتِها صبَّت تركيزَها على إبرةِ تخديرٍ مغروزة في ذراعِها، وبدأت تعُدُّ عكسياً من المئة. ولمّا لم تُفلِح، تخيَّلَت نفسها وهي تقودُ مركبتَها بتهوُّرٍ في هوليوود إلى سان بيرناردينو، ثمَّ عبرَ بارستو، وبيكر، في خطٍّ مستقيمٍ نحوَ قلبِ العالمِ الأبيضِ الخالي. وهكذا، سقَطَت في النومِ.. ولم تحلُم.

-63-

«أظنّني أفرطتُ في الشُّربِ ليلةَ أمس» قالت ماريا بحَذَر.

«لا تتحدّثي عن هذا الأمر» كانت هيلين تُحدّقُ من نافذةِ المطبخ، ممسكةً فنجانَ قهوة بكلتي يديها كأنّها تبتغي منهُ الدّفء. وكانت عيناها منتفِخَتينِ وكانت هُنالكَ كدمةٌ على صدغِها الأيسَر وكانَ صوتُها ناعماً ومُبهَماً. «لا أريدُ أن أتحدَّثَ عن الأمر. والريحُ تُمرِضُني»

«أنا لا أتذكَّرُ كيفَ وصلتُ إلى هُنا فحسب» التَمَعت في ذهنِ ماريا ذكرى بي زي وفي يدِهِ حِزامٌ وهيلين إلى جانبِهِ تضحَك. حاوَلَت ألّا تنظُرَ إلى كدمةِ هيلين. «هذا كلّ ما يدورُ في خَلَدي»

بدأت الدموعُ تنهمرُ على وجنتَي هيلين. «لا تتحدّثي عن هذا الأمر! ولا تقولي إنّكِ لا تتذكّرين»

«أنا لا..» وجَمَت ماريا. كانَ بي زي واقِفاً في الممرّ.

«لقد جلَبتُ مركبتكِ» وضعَ بي زي مفاتيحَ المركبةِ على الطاولة، ونقَلَ نظَرَهُ من ماريا إلى هيلين. «ما بكُما» قال برِقّة. «ذُعرٌ من ذِكرى إفراطٍ في الشُّرب؟ أم أفكارٌ تغدو وتروح؟»

لم تنبس هيلين بكلمة.

«لن أقدر على احتمالِ هذا يا هيلين» كانَ بي زي يضَعُ نظّارةً داكنة، وللمرّةِ الأولى تُلاحظُ ماريا الارتخاءَ تحتَ عينيه. «إن لم تكوني قادرةً على احتمالِ هكذا صباحاتٍ، فلتعتزِلي اللَّعِب. أنتِ لستِ جاهلةً، وتعرفينَ القانون: فإمّا أن تلعبي، وإمّا أن تدفَعي الثمن»

«لِمَ لا تذهبُ وتقولُ ذلكَ لِكارلوتا؟» همَسَت هيلين.

أغمَضَت ماريا عينَيها في اللحظةِ التي ارتفَعَت فيها يدُ بي زي وانهالَت على وجهِ هيلين. «توقّف!» صرَخَت.

نظَرَ بي زي إلى ماريا، وانفجَرَ ضاحِكاً. «لم تصرُخي في وجهي عندما كُنتُ أضربُها ليلةَ أمس!» قال.

-64-

مِن هاتِفٍ عموميٍّ على الطريقِ السريعِ خارجَ لاس فيغاس، اتَّصَلَت بالرقمِ الذي أعطاها إيّاهُ بيني أوستن. ولكنّها وجَدَت الرقم خارجَ الخِدمة.

«هل أنتِ هُنا وحدَكِ؟» سألَها العامِلُ في فندق ساندز بعدما ناولتهُ البقشيش.

«سيلتقي بي زوجي هُنا»

«حقاً؟ اليوم؟ أم غداً؟»

نظَرَت ماريا إليه. «اغرب عن وجهي!» قالت.

كانت الحُجرةُ مطليّة باللونِ الأرجوانيّ، وكذا الستائرُ وأغطيةُ السريرِ فيها خيوطُ لوريكس أرجوانيّة اللون. ولأنَّ أمّها كانت قد أخبرتها ذاتَ مرّةٍ أنَّ الحُجرات المطليّة باللونِ الأرجوانيّ قد تتسبّبُ في عَتَهٍ دائمٍ لساكِنيها، فكَّرَت في طلبِ تغييرِ الحُجرة، ولكنَّ العامِلَ أثارَ أعصابَها. كما أنّها لم تُرِد أن تُضطرَّ إلى تملّقِ أيّ أحدٍ كي يُلبّي لها طلَبَها. ولأنّها أرادت التواصُلَ مع شخصٍ محدّدٍ، بحَثَت في سجلّ أرقامِ الهواتفِ وابتَهَلَت أن تُوَفَّق، ثمَّ تناولت ثلاثةَ أقراص أسبرين وحاولت ألّا تُفكّرَ في بي زي وهيلين.

في الصباح، ذهَبَت إلى مكتبِ البريد. ولأنَّ ذلكَ اليوم كانَ يومَ سبتٍ، فقد كانت الممرّات الطويلة فارغة والنوافِذُ كُلّها مُغلقةً ما عدا واحِدة. أحدثَ حِذاؤها قعقعةً على الأرضيّةِ الرخاميّة، وتردّدَ صداهُ أثناءَ سيرِها.

«هلّا وضَعتَ هذه الرسالة في الصندوق رقم 674؟» قالت للموظّفِ

عند النافذةِ الوحيدة المُشرَعة. وقد كانَ الرقم 674 هوَ الرقم المكتوب على مُغلّف رسالة بيني أوستن لها.

«لا»

«ولِمَ لا؟»

«يجبُ أن تضعي عليها الطابع البريديّ الخاصّ. ويجبُ أن تُرسَلَ عن طريقِ بريد الولايات المتحدة»

تأمّلَ ببلادةٍ النيكل والبنس اللذَينِ قدّمتهُما لهُ، ثمَّ مرّرَ لها طابعاً بريدياً وراقبَها وهيَ تُلصِقُهُ على المغلّف.

«والآن، هلّا وضعتَ الرسالة في الصندوق 674؟»

«لا» قال. وألقى الرسالةَ في سلّةِ خيش.

وجَدَت مقعداً إلى جانبِ الصندوق 674، فجلَسَت عليه. عصراً، أُغلِقَت النافذة الأخيرة. شرِبَت ماريا من برّادِ الماء، ودخّنَت عدّةَ سجائر، وقرأت إعلاناتِ مكتب التحقيقات الفيدراليّ: مجموعةُ إناثٍ زنجيّاتٍ متسلّحاتٍ بقواريرِ سُمٍّ يتجوّلنَ في مكانٍ ما من البلادِ، وذكورٌ قوقازيّونَ ينتحلونَ صفةَ مندوبي أثاثِ أطفال، وموظّفو محطّةٍ إذاعيةٍ يُسافرونَ إلى خارجِ تكساس بصُحبةِ زوجاتِهم وأطفالِهم وقد اختلسوا الأموال ووضعوا مخطّطاتٍ لاختلاسِ مزيدٍ من الأموال، وجيشٌ من الهمجِ في طريقِهِ إلينا. عبرَت ماريا الطريقَ إلى مطعمٍ مُطلٍّ على مكتبِ البريد، وحاولت أن تأكُلَ شَطيرةَ جُبن.

في اليومِ الثالث، فتَحَت امرأةٌ الصندوقَ 674. كانت ترتدي زيّاً أبيض مُتّسِخاً، ولها وجهٌ حزينٌ وخشِنٌ، ولم ترغَب ماريا في التحدّثِ إليها.

«عُذراً» قالت أخيراً. «أحاوِلُ أن أتواصَلَ مع بيني أوستن...»

«ما هذا؟» كانت المرأةُ قابضةً على رسالةِ ماريا، وعيناها تتنقّلانِ ما بينَ الرسالةِ وماريا.

«الحقُّ أنّي أنا من أرسلتُ هذه الرسالة..»

«والآن تُريدينَ أن أعيدَها إليكِ»

«لا. بالتأكيدِ لا. بل أريدُكِ أن تُسلّميها لبيني أوستن وتُخبريه..»

«لستُ أعرفُ أيَّ بيني! وأعجَبُ من أنّني وجدتُ في صندوقِ بريدي رسالةً موجّهةً لهذا البيني وتظهَرينَ أنتِ فجأةً وتُلقينَ اسمهُ على مسمعي. فإمّا أنّكِ عبثتِ بصندوقي البريديّ -وهذا جُرمٌ فيدراليّ- وإمّا أنّكِ تلعبين.. وفي كلا الحالينِ أؤكّدُ لكِ أنّكِ اخترتِ الشخصَ الخطأ»

تراجَعَت ماريا. كانَ وجهُ المرأةِ شاحباً وغامِضاً، وصارت تُطارِدُ ماريا وتَصيح: «أنتِ والدةُ لوان بالتبنّي، لا بدَّ أنّكِ كذلك، ولا بدَّ أنكِ تحومينَ الآنَ في فيغاس لأنّكِ علِمتِ مؤخراً عن تسويةِ الضرر.. لا تفكّري حتّى في هذا! أقولُ لكِ لا تفكري حتّى في الأمر!»

-65-

«ما رأيكِ؟» تناهى إلى سمعِ ماريا سؤالُ أحدٍ ما. كانت تُحاولُ تناوُلَ رول بيضٍ في فندق ساندز، وكانَ هُنالِكَ رجُلانِ وفتاةٌ يُراقِبونَها مُنذُ جلَسَت.

«في ماذا؟» قالت الفتاة.

«تلك»

هزّت الفتاةُ بكتفَيها. «ربّما»

قالَ الرجُلُ الآخرُ شيئاً لم تستطِع ماريا سماعه، ولمّا نظَرَت إليهم مجدداً كانت الفتاةُ ما تزالُ تُراقبُها.

«ستة وثلاثون» قالت الفتاة. «ولكنّها ستةٌ وثلاثونَ رائعة»

أمضت ماريا بقيّة الوقتِ في لاس فيغاس مُرتديةً النظّارة الدّاكنة. لم تكُن قد قرّرت البقاءَ في فيغاس، بل فشِلَت في مغادرتِها. لم تتحدّث إلى أحدٍ. ولم تُقامر. ولم تسبَح، ولم تستلقِ في الشمس. ما كانت هُناكَ إلّا لإنجازِ مهمّةٍ، بيدَ أنّها لم تقدِر على تحديدِ طبيعةِ تلكَ المهمّة بالضبط. كانت تُمضي كُلّ أيامِها، وجُلَّ لياليها، إمّا وهيَ تسيرُ أو تقودُ مركبتها في الطرقات. كانت تدخُلُ ثلاثَ أو أربع مرّاتٍ في اليومِ إلى كلّ فنادِقِ شارعِ ستريب وتخرجُ منها. صارت تشتهي دخُولَ الأماكِنِ والخروجَ منها، واختلاف درجات الحرارة ما بينَ الخارجِ والداخل، والريح الحارّة في الخارج، والهواءَ الباردَ في الداخل. كانَ بالُها خالياً. وكانَ ذِهنُها شريطاً فارغاً، تُطبَعُ فيهِ يومياً أجزاءٌ من أحاديث تتناهى إلى سمعِها، ومقتطفات من لغوِ موزّعي أوراقِ اللعب،

وبداياتُ نكاتٍ، ومقاطعُ غريبة من أغانٍ غريبة. ولمّا كانت تستلقي أخيراً في الحُجرةِ الأرجوانيّة، تستذكِرُ شريطَ أحداثِ يومِها ثانيةً، فيهِ فتاةٌ تُغنّي في مكبّرِ صوتٍ ورجُلٌ بدينٌ يوقِعُ كأساً فيكسِرُها، وأوراقٌ توزّعُ على طاولةٍ، وتعنيفُ موزّع الأوراقِ قُبيلَ خِتامِ اللعبةِ، وامرأةٌ في أسمالٍ باليةٍ تنتحِبُ، وعينان زرقاوان بليدتان لحارسٍ واقفٍ عندَ طاولة قِمار باكاراه، وطِفلٌ في ضوءِ إشارةِ المرورِ في شارع ستريب، ولافتةٌ في شارع فيرمونت، وضوءٌ يومِض. في هذه الحال، ما بينَ نومِها وصحوِها، كانت الساعةُ العاشرة وثماني عشرة دقيقة، *الرجُل الوحيدُ الذي كانَ من الممكنِ أن يصِلَ إليها هوَ ابنُ الكاهِن*، كانَ هُنالكَ رجُلٌ لم يبلُغ الستّينَ بعدُ، وآخر تجاوزَ الستّين، بابا يُريدُ مخدّراتٍ *وهيَ ركِبت مُهراً ملوّناً، فدَع دولابَ النّولِ يستمرُّ بالغزل*.

بحُلولِ نهايةِ الأسبوع، كانت تُفكِّرُ دونَ انقطاعٍ في حدودِ جسدِها التي تفصِلُهُ عن الهواءَ حولَهُ، عن الحدّ الدقيقِ الذي يُميّزُ ماريا، في المكانِ والزمانِ، عن غيرِها. أحسَّت أنّها لو استطاعَت إيجادَ حلٍّ لتلكَ المُعضلةِ وتثبيتِهِ في ذهنها –ولو لجُزءٍ من الثانيةِ– فسوفَ تُحقّقُ ما تسعى إليه. وكما لو كانت محمومةً، بدأت درجةُ حرارةِ بشرتِها بالارتفاع وازدادت حساسيّتُها. فصارت تُحسُّ بالدّخانِ إذ يلمِسُ جِلدَها، وبالموجاتِ الصوتيّة أيضاً وهيَ تضرِبُه. كما بدأت تُحسُّ بالألوان، وبدرجاتِ الضوءِ المتفاوتة، وبدا لها أنّها ستكونُ قادرةً –إن هيَ وقفت معصوبةَ العينينِ أمامَ لافتاتِ ثندربيرد وفلامينغو– على تمييز كُلّ واحِدةٍ منها. «ماريا» أحسَّت بأنَّ أحداً ما يهمسُ لها ذاتَ ليلة، ولكنّها حينَ استدارت لم تَجِد أحداً.

بدأت تُحسُّ بضَغطِ سدِّ هوفر، هُناكَ في الصحراء، وبدأت تُحسُّ بضغطِ وقوّةِ الماء. ولمّا اشتدَّ الضغطُ، قادَت مركبتَها هُناك. أحسَّت بالقوّةِ تغمُرُ جسَدَها طيلةَ ذلكَ اليوم، وبِدُوارٍ غريبٍ، وبأنّها في عالمٍ اجتَمَعَت فيهِ كُلُّ منابعِ الطاقة أخيراً في قلبِ الوادي أسفَلَ سطحِ السدِّ، حيثُ المصاعِدُ الشبيهةُ بالأكفان تهبِطُ في أحشاءِ الأرضِ ذاتِها. تجوّلَت ماريا برفقةِ دليلٍ

وثُلّةِ أطفالٍ بينَ الحجرات، وحدّقَت في التوربينات في الدهليزِ الواسِع، وفي المياهِ الساكنةِ التي تتسلّلُ في المساربِ المخفيّة كلّ الوقت. راقَبَت المشهَد، واستعانَت بالحواجِزِ لتنحني كي تقِفَ أخيراً على المنصّةِ فوقَ الأنبوبِ الذي يجري فيهِ ماءُ النهرِ أسفَلَ السدّ. اهتزّت المنصّة. واضطربَت أذناها. رغِبَت في أن تبقى داخِلَ السدّ، مُستلقيةً على الأنبوب العظيم، بيدَ أنَّ الحرجَ منعَها من الطلب.

«مُنذُ متى وأنتِ هُنا؟» سألَها فريدي شايكين لمّا صادَفَتهُ في فندقِ قيصَر. «هل تودّينَ قضاءَ العام بأكملهِ هُنا أم ماذا؟»

«أسبوعانِ فقط يا فريدي. حتّى إنّني لم أُكمِل الأسبوعين»

«ياللمسيح! أسبوعينِ في فيغاس!»

«أحبُّ الحديثَ مع الناسِ هُنا»

«سوف أحضُرُ افتتاح ليني، هل تودّين مرافقتي؟»

حاولت ماريا أن تتذكّرَ من يكونُ ليني ذاك. «الحقُّ أنّني لا أريدُ أن ألتقي بأشخاصٍ كُثُرٍ هُنا»

«ذلكَ مضرٌّ بالصّحة.. وأنتِ سقيمةٌ بما فيهِ الكفاية. مِن أجلي، تعالي بعدَ الافتتاحِ إلى جناحِ ليني. سيكونُ هُنالك الكثيرُ من معارِفِك»

«سأرى»

«ماريا، إنّهُ طلبٌ شخصيٌّ منّي. وأنتِ مدينةٌ لي بذلك. حسناً؟ الحُجرة 1202، في المبنى الجديد»

«هلّا دللتني على الحُجرة رقم 1202؟» سألَت الموظّف الجالسَ خلفَ المكتبِ في الفندق. ولمّا هاتَفَت فريدي من الردهةِ لم تتمكّن من سماعِ ما يقول بسبب الضوضاءِ.

انتَظَرت. ولم ينظُر إليها الموظّف.

«أريدُ الحُجرة رقم 1202»

رفَعَ عينيهِ قليلاً. «لا» قال.

«أنتَ لا تفهمُني. أنا لا أعرفُ كيفَ أصِلُ إلى المبنى الجديد»

«بل أفهمُكِ يا عزيزتي. أفهمُكِ تماماً. لا يُمكنك الذهابُ إلى هناك. إن أرادوكِ، فسيدلّونَكِ على الطريق. جرّبي حظَّكِ في مكانٍ آخر»

لمّا عادت إلى فندقِ ساندز، نظَرَت إلى صورتِها في المرآة مطوّلاً، ثمَّ هاتفت خِدمة الغُرَف وطلبت كأسَ بوربون كبيرة. وعندما أحضرَ العامِلُ الكأسَ لها، نظرَ إليها.

«ما زالَ الوقتُ باكراً على الشرب» قال.

صبَّت بضعَ قطراتٍ من البوربون فوقَ الثلجِ. بدا لها في تلكَ اللحظة أنّها ما قادت مركبتَها طيلةَ ذلكَ الأسبوعِ إلّا لِتَصِلَ إلى هذه اللحظة تحديداً. «أنا وحيدةٌ لا أعرفُ أحداً» سمِعَت نفسها تقولُ له.

«هُنالكَ العديدُ من الشبابِ المُتاحين»

«لا أعرفُ أياً منهُم»

«يُمكنني أن أعرّفكِ على أحدِهِم»

نظَرَت إليه. «حسناً» قالت. «خلالَ الساعةِ القادمة»

بعدما غادَرَ، بقيت منتظرةً لخمسِ دقائق، ثمَّ خرجَت إلى الممرّ، ومِنهُ إلى المرأبِ المُضاء، وبعدَ ساعةٍ وصَلَت إلى قلبِ الصحراء وهيَ تقودُ مركبتَها بسُرعةِ ثمانينَ ميلاً في الساعة. وفي صباحِ اليومِ التالي هاتَفَت فريدي شايكين مِن لوس أنجلوس، وطلبَت منهُ أن يُسدّدَ فاتورةَ الفندقِ ويجلبَ لها ثيابَها من هُناك.

«ماذا حدث؟»

لم تُحِر ماريا جواباً.

«لا أريدُ أن أعرف» قالَ فريدي.

«لا تنسَ إحضارَ نظّارتي الداكنة» قالت ماريا.

-66-

«كم تَزِنين؟ اثنان وثمانون كيلوغراماً؟»

فتَحَت ماريا عَينَيها. كانَ ذلكَ صوتَ كارتر، ولكنّها -لوهلةٍ في ضوءِ الظهيرةِ الساطِعِ- لم تستطِع أن تتبيّنَ ملامِحَهُ تماماً.

«لم أكُن أعلمُ أنّكَ ستأتي إلى هُنا اليوم» قالت أخيراً.

«أخبرتني هيلين أنّكِ هُنا»

«هيلين، المصدرُ الموثوقُ لأخبارِ المشاهير»

«فلتهدئي قليلاً. أريدُ أن أتحدّثَ معكِ بخصوصِ أمر معين» نظَرَ خلفَهُ ناحيةَ المنزل. كانَ بي زي منشغلاً على الهاتِفِ في حُجرةِ الجلوس. «دعينا نتمشّى قُربَ الشاطئ»

«يُمكننا أن نتحدّثَ هُنا»

«فليكُن. يُمكننا أن نتحدّث هُنا» أبعَدَ حِذاءها برِجلِهِ وجلَس. «ما فتِئتُ أحاوِلُ التواصُلَ معكِ منذ أسبوعين»

«أعرفُ ذلك»

«لا تعبثي معي يا ماريا، فقد قطَعتُ كلّ هذه المسافة كي أصِلَ إليكِ هُنا، واعتذرتُ عن حضورِ اجتماعٍ مهمّ، اجتماعٍ مع كارل كاستنر، فقط كي...»

أمسَكَت ماريا بيدِهِ ووضعَتها على فمِه. وقد أثَّرَ فيها تخلّي كارتر عن فُرصةِ لقاءٍ مع كارل كاستنر. كانَ كارتر في تلكَ اللحظة هوَ كارتر، بصورتِهِ الأصليّة. «لم أكُن راغبةً في لقائِكَ لأنّني لم أكُن على خيرِ ما يُرام. لا أكثر. حدّثني الآن»

تناوَلَ كارتر سيجارةً، وسحَقَ عُلبة السجائرِ بيدِهِ، ثمَّ أصلَحَها وأعادَ السيجارةَ فيها. «سوفَ أبدأ بتصويرِ الفيلم الجديدِ في الصحراءِ في غضونِ عشرةِ أيام» قالَ أخيراً. «وأنتِ تعرفينَ ذلك» كانَ يتحاشى النظرَ إليها. «وذلكَ يعني..»

«يعني..» قالت بعد هُنيهة.

نظَرَ إليها. «يعني أنّني أريدُكِ أن تشاركي فيه»

لم تنبس ماريا بكلمة.

«يُمكننا أن نفعلَ ذلك»

«ولماذا قد نودُّ فِعلَ ذلك؟»

بدا كارتر مُضطرباً. «لأنَّ ذلكَ قد يكونُ أفضَلَ لكِلَينا»

«تعني أنّكَ تخافُ ألّا أكونَ قادرةً على إعالةِ نفسي من دونِك»

«نعم» هبَّ كارتر واقفاً. «أعني ذلك. لا أعتقِدُ أنّكِ قادرةٌ على إعالةِ نفسِكِ. لقد سمِعتُ أشياءَ، أشياءَ..»

«أشياء ماذا؟»

«أنتِ تعرفينَ أيَّ أشياء لعينة أعني»

وقَفَ كارتر ويدُهُ متجمّدةٌ في الهواء. كانَ يوشِكُ أن يضرِبَها.

«هيا» قالت. «لن تؤذِيَني»

«يالهُ من يومٍ مُدهِش» تناهى إلى سمعِهِما صوتُ أحدٍ ما، فأنزَلَ كارتر يدَه. كانَ ذلكَ صوتَ فتاةٍ ذات شعرٍ طويلٍ مجدولٍ ترتدي قميصَ نومٍ قصيراً واقفةً في مدخلِ البابِ تتثاءَب. «هل هُنالِكَ قهوة؟» تفحَّصَت الفتاةُ ما بدا كأنّهُ عضّةٌ على ذراعِها، ثمَّ مشَت إلى الشمس. «أكادُ أموتُ شوقاً إلى فنجانِ قهوة»

«لستُ أدري» قالت ماريا.

«حبيبي بي زي؟» نادَت الفتاة. «هل هُنالكِ قهوةٌ جاهزة؟»

«كلا» قال بي زي من داخِلِ المنزل. «ليست هُنالك أيُّ قهوة على الإطلاق»

«حبيبي، يجبُ أن تُحضرَ لي قهوةً في الحال» تشدَّقَت الفتاة. وابتسَمَت من مدخلِ البابِ لِكارتر. «أنا جينيل» قالت.

«مَن تكونُ هذه بحقّ الحجيم!» قالَ كارتر بعدَ بُرهة.

كانت ماريا رابضةً وعليها منشفة. «أظنّها جينيل»

«ومَن تكون؟»

«وما أدراني»

نظرَ كارتر إليها. «كفّي عن ذلك!» قال أخيراً. «كفّي عن البُكاء. حبيبتي، اسمعيني. توقّفي»

«لستُ أدري ما أفعل»

«تعالي إلى الصحراءِ معي»

«من بابِ العِلمِ بالشّيء فقط: هل ستُضاجِعُ سوزانا وود هُناك؟»

أنهَضَها كارتر وجرَّها إليهِ وانهالَ عليها تقبيلاً، بينما ظلّت هيَ واقفةً دون أن تأتي بأيّةِ حركة. وبعد قليلٍ أرخى يديهِ وأفلَتَها.

«ما بكِ الآن» قال.

«لا شيء»

«اختفى الحُبُّ فيكِ» قال. «كانَ الحُبُّ حاضِراً بيننا في الماضي بيدَ أنّهُ اختفى الآن»

«اسمع» قالت كأنّها تُردّدُ محفوظاً. «أنا أحبُّك»

«أتدرينَ ماذا كُنتُ أتمنّى أن تكونَ هذه الليلة؟» قالت الفتاةُ ذاتُ قميصِ النومِ القصير لمّا دخَلَت ماريا المنزل في الساعة الرابعة. «كُنتُ أتمنّى أن تكونَ ليلةَ رأسِ السنة. قد يرى جُلُّ الناسِ أنَّ ليلةَ رأسِ السنة مملة، بيدَ أنّي أحبّها»

كانت هيلين مُستلقيةً على أريكةٍ تُحدّقُ في السقف. «تُحبّينَها حقاً» قالت.

«هيلين» قالَ بي زي. «سوفَ تأتي ماريا معنا إلى الصحراء، أليسَ ذلكَ مثيراً؟» تبسّمَ بي زي لِماريا. «قُلتُ لكِ إنَّ ماريا آتيةٌ معنا إلى الصحراء يا هيلين»

«سمِعتُك»

«كما أنّني أحبُّ الكريسماس» قالت الفتاة.

«جينيل» قالَ بي زي. «هُنالِكَ بعضُ عُلَب الكوكاكولا في حُجرةِ النومِ إن أحببتِ»

«كُنتَ تُخبّئها كلّ ذلكَ الوقت» قالت جينيل.

راقَبَ بي زي الفتاةَ وهيَ تذهبُ، ثمّ التَفَتَ إلى هيلين. «أخرجيها من هُنا» قال.

حدّقَت هيلين فيه. «أنتَ من جئتَ بها» همَسَت.

-67-

«أخبرتِني أنّكِ ستأتين» قالَ كارتر.

«لماذا؟»

«أريدُكِ أن تُشاركي في الفيلم»

«لقد اختفى الحُبّ بيننا، أنتَ قُلتَ هذا بلسانِك»

«حسناً» قالَ كارتر. «ابقي هُنا وانتحِري. ما أجمَلَ ذلك!»

غادرَ كارتر برفقةِ بي زي وهيلين إلى الصحراء. وعثرَت ماريا على طبيبٍ وافَقَ أن يصرِفَ لها المهدّئات. كما صارت تقودُ مركبتها في المساءات.

«من هُناك؟» همَسَت لمّا رأت سيجاراً مُشعَلاً في حُجرةِ الجلوسِ المُعتمة. كانت قد دخَلَت المنزلَ توّاً وأقفَلَت البابَ خلفها، والآن اتّكأت عليه. «قُلتُ من هُناك؟»

تحرّكَ السيجار. أغمضَت عينيها.

«من تظنّين؟» قالَ إيفان كوستيللو. «ربّما كُنتِ ستعلمينَ بمجيئي لو أنّكِ تُهاتفينني بينَ الحينِ والآخر»

«ماذا تفعلُ في منزلي؟»

«تعالي»

أشعَلَت الضوء.

«قُلتُ تعالي»

«لا» علِمَت أنّهُ مخمور. «بل سأغادِر»

«لن تبرحي مكانكِ. ولا تقولي لي لا»

«لا»

«حسناً» قال. «قاوِميني إذاً. ستُحيّينَ المُضاجعةَ أثناءَ المقاومةِ على أيةِ حال»

«لماذا أتيت إلى هُنا؟» قالت لهُ في الثالثة أو الرابعة من صباحِ اليوم التالي.

«من أجلِ ما أعطيتِنيهِ البارحة»

«لماذا أتيتَ إلى هُنا» كرّرت سؤالَها.

«لم آتِ إلى هُنا لأؤذيَكِ، إن كانَ هذا مقصَدَكِ من السؤال»

لم تقُل شيئاً.

«ياللمسيح!» قال. «حبيبتي. ما أتيتُ إلّا لأحفّزَ ذاكرتَكِ»

«لم أتذكّر»

«بل تذكّرتِ جيّداً في الساعات الثلاث الفائتة»

أحاطَت كتِفَيها العاريَتينِ بذراعَيها. «لم أشتهِ ذلكَ قط»

«حبيبتي، كُنت تشتهينَهُ في الماضي»

«اخرُج من هُنا» قالت. وهذه المرّة، خرجَ فعلاً.

في الصباح، عادَ مجدداً. فتَحَت لهُ البابَ وعادت إلى أريكتِها حيثُ أمضَت بقيّة الليلة.

«ليسَ عليكِ أن تتحطّمي بسببِ ما فعلنا» قال. «كُنتِ تقولينَ لي في الماضي إنّكِ مُستعدةٌ لمضاجعتي دائماً. كُنتِ تقولين..»

«كُنتُ أقولُ لكَ أموراً كثيرةً في الماضي» كانت تشمُّ رائحةَ السيجارِ التي لا تزال في معطفهِ. «أمّا الآن فاتركني وشأني»

«لكِ ذلك» قالَ أخيراً. «ولنرَ كيفَ ستشعُرينَ بعدها»

كانت مستلقيةً على الأريكة، وعيناها مثبّتتانِ إلى وعاءٍ فيهِ ورودٌ ذاوية حتّى الساعة الرابعة عصراً. وساعتَها، هاتَفَت ليس غودوين.

«إنَّ قارعةً توشِكُ أن تحُلّ عليّ» قالت.

«إنَّ قارعةً توشِكُ أن تحُلَّ علينا جميعاً»

سمِعَت صوتَ آلةٍ كاتبةٍ عنده. «إنّني جادّة في كلامي. اصحَبني إلى أيّ مكان»

«هل لديكِ خارطة البيرو؟»

لم تنبس بكلمة.

«ظريفٌ يا ماريا. هذا اقتباسٌ من فيلم دربٌ مُظلم»

«أعرف»

«تشاجرتُ مع فيليسيا على الغداء، وعليَّ أن أُسَلّمَ العمَلَ منقّحاً بحلولِ صباحِ الغد. هل أخبركِ شيئاً مُضحكاً وتعِديني ألّا تضحكي؟»

«عندما أودُّ سماعَ حديثٍ مُضحكٍ، سأهاتِفُك»

بعدما أنهَت المكالمة، حزَمَت متاعَها في حقيبةٍ واحِدةٍ، وانطلَقَت في مركبتِها إلى الصحراء.

-68-

بعدَما تزوّجتُ كارتر، وصارَ اسمي يظهَرُ في المقالاتِ والأعمدةِ الصحفيّة، صارت تأتيني رسائلُ بريديّة من أناسٍ معاتيه. لم تكُن تشغَلُني متاعِبُ الحياةِ اليوميّة بقدرِ ما كانت تشغَلُني وتُثقِلُني رسائلُ المعاتيهِ تلك. أمّا الآن فلم تعُد تصِلُني أيُّ رسائل.

عندما يُفكّرُ فيَّ أحدٌ، أُحسُّ بذلك. وأعرِفُ كيفَ يجبُ أن أتعاطى مع الأمر.

-69-

في الليلةِ الأولى في النُّزُلِ الحارِّ في الصحراء، أدارَ كارتر لِماريا ظهرَهُ على السريرِ دونَ كلام. وفي الليلةِ الثانيةِ نهَضَ من على السريرِ وذهَبَ لينامَ في الحُجرةِ الأخرى.

«ما الأمر؟» قالت ماريا، وهيَ واقفةٌ في مدخلِ البابِ في الظلام.

«لم يتحسَّنِ الحال»

«وكيفَ عرفت؟»

لم ينبس بكلمة.

«أعني أنّنا لم نُحاوِل بعد»

«أنتِ لا ترغبينَ بذلكَ حقاً»

«بل أرغب»

«كلا» قال. «لا ترغبين»

ابتَعَدت ماريا. بعدها، تناوبَت هيَ وكارتر على النومِ في الحُجرةِ الأخرى جُلَّ الليالي. في بعضِ الليالي كانَ كارتر يدّعي التعب، وفي بعضِ الليالي كانت هيَ تدّعي الرغبةَ في القراءة، وفي بعضِ الليالي لم يدّعِ أيٌّ منهما شيئاً.

في ذلكَ النُّزُلِ في الصحراء، كانت هُنالِكَ حُجرتانِ وحمّامٌ فيهِ دوشٌ معدنيّ، ومطبخٌ صغيرٌ فيهِ بعضُ الأطباقِ المثلومة وطاولةٌ مُغطّاةٌ بمشمّع. كانَ مُبرّدُ الهواءِ معطّلاً، ومِن خلالِ النافذةِ المُشرعةِ كانَ يتناهى إلى سمعِ ماريا في الليلِ صوتُ الموسيقى الآتي من الحانةِ قبالةَ النُّزُل. في مثلِ تلكَ

الليالي التي كانَ يعجَزُ فيها كارتر عن النوم، كانت هيَ تظلُّ مستلقيَةً بهدوء، مُغمَضَة العينين، تنتظِرُ اللحظة التي سيبدأ فيها كارتر بالعبثِ بالجواريرِ وطرقِ الأبوابِ ورميِ المجلاتِ على السرير حيثُ هيَ مستلقية.

«لم توقِظني فوضاك» كانت تقول. «أنا لستُ نائمة!»

«نامي أيتها العاهرة. نامي! أو موتي! أيتها المعتوهةُ اللعينة»

وبعدها، كانَ يغطُّ في نومٍ عميقٍ، بينما هيَ تعجَزُ عن النوم.

كانَ كارتر يُغادرُ النُّزُلَ دائماً بحلولِ الوقتِ الذي كانت تستيقِظُ فيهِ ماريا، حوالي الساعة الثامنة والنصف أو التاسعة صباحاً. في الأسبوعِ الأوّلِ، كانت ماريا تغتسِلُ بقطراتِ الماء الشحيحةِ التي تهوي من الدوشِ الخَرِب، ثمَّ تشربُ عُلبة كوكاكولا في الحمّام، ثمَّ تنطلقُ بمركبتِها إلى موقع التصوير.. ولكنَّ كارتر طلَبَ منها، يومَ الإثنينِ من الأسبوعِ الثاني، أن تُغادِرَ قُبيلَ موعِدِ الغداء.

«وجودُكِ يستفزُّ سوزانا» قال. «هذا الفيلمُ هوَ فيلمُها الثاني، وهيَ مُضطربةٌ أصلاً لأنّها تُمثّلُ أمامَ هاريسون، والآن أنتِ هُنا أيضاً! ما أعنيهِ أنَّ الممثلّةَ حينَ تعمل، تحتاجُ إلى..»

«قد عمِلتُ أنا أيضاً في فيلمٍ أو فيلمَين. أنا أيضاً ممثلة»

تحاشى كارتر النظرَ في عينيها. «ربّما يُمكنكِ أن تذهبي أنتِ وهيلين للتسكّعِ معاً»

«ربّما نُشاهِدُ المسرحيات!»

-70-

كانت المدينةُ واقعةً في مجرى نهرٍ جافٍّ بينَ وادي الموت وحدودِ نيفادا. لم يعتبِرها كارتر وبي زي وهيلين وسوزانا وود وهاريسون بورتر وجُلُّ الطاقَمِ مدينةً أصلاً، ولكنَّ ماريا كانت تراها مدينة فعليّة: فقد كانت أكبرَ حجماً من سيلفر ويلز. بجانِبِ النُّزُلِ المُشيَّدِ من حجارةٍ بركانيّةٍ، الذي تُديرهُ زوجةُ نائِبِ مديرِ شرطة المدينة الذي كانَ يتجوّلُ دائماً في طُرُقِ المدينة، كانت هُنالكَ محطّتا وقود، ومتجر يبيعُ اللحمَ الطازج والخضراوات يوماً واحِداً في الأسبوع، ومقهىً، وكنيسة خمسينيّة، وحانة لا تُقدّمُ سوى البيرة. وكانت الحانةُ تُدعى: حُجرةَ الأفعى الجُلجليّة.

كانَت هُنالِكَ حُجرةُ استحمامٍ في المدينة، لها سقفُ ألمنيوم مائل ومصدرُ ماءٍ ساخِنٍ موصولٌ ببِركةٍ ضحلة، وبسببِ الحمّاماتِ السّاخنة، صارت المدينةُ محَجّاً لكِبارِ السنّ المؤمنينَ بالقوّةِ العلاجيّةِ والتجديديّة للمُدُنِ المُقفرة، أولئكَ الأزواجِ المسنّينَ (ذَوي الثمانين والتسعين عاماً) الذينَ يُخيّمونَ في الصحراء. كانَت هُنالكَ بضعةُ منازل مبنيّة من الحجارةِ البركانيّة في المدينة، وكارافانانِ.. وفي الطريقِ التُّرابيّ (الذي هوَ طريقُ المدينةِ الرئيسُ) كانَ هُنالكَ مكتبٌ لمنجمِ الصابون، يُدعى: مِلكةُ سبأ. وكانَت أبوابُ ونوافِذُ المكتَبِ مُعزّزةً بألواحٍ خشبيّةٍ للحماية. وعلى بُعدِ خمسينَ ميلاً إلى الشمال، كانَ من المفترضِ أنْ توجَدَ مدرسة.. ولكنَّ ماريا وجَدَت المدينة خاليةً من الأطفال.

«إنَّ هذا المكان ليسَ سيئاً» قالت المرأةُ التي تُديرُ المقهى لماريا. كانت المروحةُ معطّلةً، والبابُ مُشرعاً، وكانت المرأةُ تُجاهِدُ ببسالةٍ للتخلّصِ من الذباب. «احتَمَلتُ ما هوَ أسوأ»

«وأنا أيضاً» قالت ماريا. فهزّت المرأة بكتِفَيها.

بحُلولِ نهايةِ اليوم، ارتَفَعت الحرارةُ في المدينة. وغطّى المُسِنّونَ نوافِذَ كرافاناتِهِم برقائقِ الألمنيوم حتّى يصُدّوا الحرارة. كانت هُنالِكَ شجرتانِ في المدينة، شجرتا حَورٍ في مجرى النهر، بيدَ أنَّ إحداهُما كانت ميّتة.

-71-

«أنتِ من طاقمِ الفيلم» قالَ الفتى الواقِفُ عند بوّابةِ حُجرة الاستحمام.

كانَ يبلُغُ من العُمُرِ حوالي ثمانية عشرَ عاماً، وكانت بشرتُهُ مغطّاةً بالبثور، وكانَ يعتمِرُ قبّعةَ قش كي تحمِيَهُ من حرارةِ الشمس. «عرفتُ ذلكَ لمّا رأيتُكِ البارحة»

«بل زوجي من طاقمِ الفيلم»

«هل تُريدين أن تعرفي كيفَ عرفتُ ذلك؟»

«كيف؟» قالت ماريا.

«لأنني..» تأمَّلَ الفتى أظافرَ يديهِ المُسخّمة كأنّهُ فقدَ ثقتَهُ بألمعيّةِ قصّتِه. «لأنني أعرِفُ كُلَّ قاطني هذه المدينةِ» قالَ دونَ أن يرفَعَ عينيهِ عن أظافرِ يديه.

«أعني أنني علِمتُ فورَ رؤيتِكِ أنّني لا أعرِفُكِ»

«الحقُّ أنّني أتيتُ من مدينةٍ قريبة» لم تكُن ماريا قد تحدّثَت إلى أيٍّ أحدٍ طوالَ اليوم، ولم تكُن راغبةً في دخولِ حُجرةِ الاستحمام. ولم تدرِ أصلاً لِمَ قدِمَت إلى حُجرةِ الاستحمام. فقد كانَت الحُجرةُ ملأى بالمُسنّين، وبِجلودِهِم الرّخوةِ التي طلاها الماءُ الساخِنُ باللونِ الورديّ، جالسينَ كالأصنامِ على حافّةِ البِركةِ تعتمِلُ فيهِم السّرطاناتُ والدمامِلُ والمخاوِف.

«الحقُّ أنّي ترعرعتُ في سيلفر ويلز»

نظَرَ إليها الفتى ببرود.

«إنّها قريبةٌ من حدودِ هذه المدينة. أعني أنّها ليست على مبعدةٍ كبيرةٍ من هُنا»

«مُدهِش!» قالَ الفتى. ثمَّ انحنى إليها. «لا تقولي لي إنّ زوجَكِ هوَ ماريسون بورتر؟»

«كلا» قالت ماريا. ولم تجِد ما تُضيفُه.

«حُجرتي. مملكتي» قالت سوزانا وود وهيَ جالسةٌ على سريرِها تلفُّ سجائرَ الحشيش. «لذا، ارفَع الصوت»

سارَ كارتر نحوَ دكّةِ مكبّراتِ الصوت والسمّاعات وبكراتِ الأفلام التي جلَبَتها سوزانا معها إلى الصحراء.

«سوفَ نُزعِجُ من حولَنا» قالت ماريا.

«وإن يكُن؟» قالت سوزانا وود، ثمَّ ضحِكَت. «تخافُ ماريا أن يُقبَض علينا بتُهمةِ حيازة المخدّرات. تظنُّ ماريا أنّها سُجِنَت بما فيهِ الكفاية جرّاءَ تلكَ التهمة في نيفادا»

رفَعَ بي زي رأسَه. «أخفِض الصوتَ يا كارتر»

نظَرَت سوزانا إلى بي زي أوّلاً، ثمَّ إلى ماريا. «ارفَع الصوت يا كارتر»

هبَّت ماريا واقفة. كانَ ذلكَ منتصفَ الليل، وكانت ماريا ترتدي ثوبَ سباحةٍ عتيقاً، وكان شعرُها مُنسدلاً على ظهرِ عُنقِها. «أنا لا أكادُ أطيقُ أيّاً منكُم» قالت. «أنتُم جميعاً تُصيبونني بالغثيان!»

ضحِكَت سوزانا وود.

«هذا ليسَ قولاً ظريفاً يا ماريا» قالت هيلين.

«إنّني أعني ما أقول. أنتُم تُصيبونني بغثيانٍ حقيقيّ»

تناولت هيلين عُلبةَ ترطيبٍ من كومَةِ أغراضِ سوزانا وود المُجمّعةِ فوقَ طاولةِ ثيابِها، وبدأت تدهَنُ كتِفَي ماريا. «لا تنبِسي بكلامٍ غير ظريفٍ يا ماريا».

«ما بالُ سوزانا» سألت ماريا كارتر. وكانت واقفةً في الشمسِ عند النافذةِ تُصفّفُ شعرها.

«ما بالُها؟»

ظلّت ماريا تُصفّفُ شعرها، ثمّ ذهبَت إلى الحمّام. «أعني، هل تستمتعُ حقاً بمُضاجَعتِها؟»

«ليسَ تماماً»

«ولِمَ لا» قالت ماريا، وأغلَقَت بابَ الحمّام.

«أينَ كارتر؟» قالت ماريا عندما دخَلَت حُجرةَ بي زي.

«حدَثَت مشكلةٌ مع هاريسون، وقد نأى كارتر بنفسِهِ في الخارِجِ كي لا يُفاقِمَ المشكلةَ معه. هل ترغبينَ في شراب؟»

«أظنّ ذلك. هل سيعودونَ إلى هُنا؟»

«قُلتُ لكِ إنّنا سنلتقيهِم في فيغاس. لقد وصَلَت هيلين إلى هُناك»

«دعنا لا نتناولُ وجبة العشاءِ في مطعم ريفييرا مجدّداً»

«إنَّ هاريسون يُحبُّ مطعم ريفييرا»

انحَنَت ماريا على سريرِ هيلين. «أنا ضجِرَةٌ من هاريسون» لعَقَت الشرابَ من داخلِ كأسِها، فغطّى البوربون لسانَها. «ربّما يُنعِشُني بعضُ الثلج»

«الثلاجةُ معطّلة. فلتلفّي سيجارةَ حشيش»

أغمَضَت ماريا عينيها. «وأنا أيضاً ضجِرَةٌ من سوزانا»

«ومَن يُضجِرُكِ غيرهُما؟»

«لستُ أدري»

«توشِكينَ أن تصِلي» قالَ بي زي.

«إلى أين»

«إلى حيثُ أنا!»

-72-

كانوا يُمضونَ أسبوعَهُم الثالث في الصحراءِ عندما أُشبِعَت سوزانا وود ضرباً في حُجرةٍ فندقيّةٍ في لاس فيغاس. وصَلَ مسؤولُ الدعايةِ إلى هُناكَ على الفورِ، كما قامَ هاريسون بورتر بإطلاقِ حملة تبرّعاتٍ عبرَ التلفازِ لجمعيّةِ نيفادا الجنوبيّة لمرضى التليّفِ الكيسيّ، ولم يُؤتَ على ذِكرِ حادثةِ الضَّربِ قط. ولمّا سألَت ماريا كارتر عن تفاصيلِ الحادثةِ اكتفى بهزّ كتِفَيه.

«وما عسى ذلكَ يُفيدُ الآن» قال.

لم تُصَب سوزانا وود بأذى بالغ، أصيبَت فقط ببضعِ كدماتٍ في وجهِها واعتزَلَت جلسات التصويرِ لمدّة. حاوَلَ كارتر أن يتجنّبَ تصويرَ وجهِها مباشرةً ريثما يُشارفُ أثرُ الكدماتِ على الاختفاءِ فتقدِرُ مساحيقُ التجميلِ على حَجبِه، غيرَ أنّهُم في نهايةِ الأسبوعِ الرابع كانوا متأخرينَ عشرةَ أيامٍ عن جدولِ التصوير الذي كانَ مقرّراً.

«هلَ كانَ الفاعِلُ هوَ هاريسون؟»

«انقضى الأمر، وهيَ بخير الآن. فلتنسَي الأمر» كانَ كارتر واقفاً عند النافذةِ ينتظِرُ وصولَ مركبة بي زي. فقد كانَ بي زي آنذاك في المدينةِ يحضرُ بعضَ الاجتماعات في الاستوديو. «إنَّ سوزانا لا تُضخّمُ الأحداثَ مثلما تفعلين. لذا، انسي الأمر»

«هل كُنتَ أنتَ الفاعل؟»

نظَرَ كارتر إليها. «هل تعتقدينَ ذلك! أخرِجي مؤخرتكِ اللعينة من هُنا»

بصمتٍ، أخرَجَت ماريا حقيبَتَها وبدأت بتوضيبِ أغراضِها فيها.

وبصمتٍ، راقَبَها كارتر. وبحلولِ الوقت الذي وصَلَ فيهِ بي زي، لم يكُن أيٌّ منهما قد تحدّثَ إلى الآخرِ منذ عشرِ دقائق.

«إنّهُم يُساندونك» قالَ بي زي. وألقى بمفاتيحِ المركبةِ على السرير، وأخرَجَ طبقَ ثلجٍ من الثلاجة.

«ظننتُ أنّهُم يُحبّونَ الصّحُف اليوميّة»

«رالف يُحبّها. وكرامر يرى أنّها مثيرةٌ للاهتمام»

«وماذا يعني ذلك؟»

«يعني أنّ كرامر يُريدُ أن يشنُقَ رالف بِحَبلِك» نظَرَ بي زي إلى ماريا. «ماذا تفعَلُ هذه؟»

«اسألها» قالَ كارتر، وغادَرَ الحُجرة.

«هاريسون هوَ الفاعل» قالَ بي زي. «ما المشكلة؟»

«لقد كانَ كارتر هُناك أيضاً، أليسَ كذلك؟»

«كانت الأمورُ ساعتئذٍ خارجةً عن السيطرة»

جلَسَت ماريا على السريرِ إلى جانبِ حقيبَتِها. «كانَ كارتر هُناك!»

نظرَ إليها بي زي مطوّلاً، ثمَّ انفجَرَ ضاحِكاً. «بالطّبعِ كانَ كارتر هُناك! كانَ هُناكَ برفقةِ هيلين»

لم تنبس ماريا بكلمة.

«إن كُنتِ تدّعينَ أنَّ ذلكَ يُغيّرُ في الأمرِ شيئاً، أو أنّكِ تهتمّينَ بِمَن يُضاجِعُ من وأينَ ومتى ولماذا، فأنتِ تخدعينَ نفسَكِ»

«بالطبعِ يُهمّني ذلك»

«كلا» قالَ بي زي. «لا يهمّكِ»

حدّقَت ماريا في النهر الجافِّ خلفَ النُّزُلِ من النافذة.

«أنتِ تعلمينَ أنّ الأمرَ لا يهمّكِ. فإن كانت مثل تلكَ الأمور تهمّكِ فعلاً لكُنتِ غادرتِ هذه المدينة منذ وقتٍ طويل. ولكنّكِ لن تُغادري»

«لِمَ لا تأتيني بشراب» قالت ماريا أخيراً.

«ما الأمر؟» قد يسألُها كارتر عندما يراها جالسةً في العتمةِ في الثالثةِ أو الرابعة صباحاً، تُحدّقُ في النهر الجافّ من النافذة. «ماذا تُريدين؟ لن أستطيعَ مساعدتكِ ما لم تقولي لي ما تُريدين»

«لا أريدُ شيئاً»

«صارحيني»

«سبَقَ لي أن أخبرتُك»

«سُحقاً! سُحقاً لكِ! لقد نفِدَ صبري، وبلغَ السيلُ الزّبى معكِ. لقد سئِمتُ من التجاعيدِ أسفَلَ عينيكِ والشرايين المستنفرة في ذراعيكِ والخطوطِ الغاضبة في وجهِكِ وكآبةِ سنّ اليأس خاصّتِكِ..»

«لا تتفوّه بتلكَ الكلمة ثانية»

«سنّ اليأس. العَجز! سوفَ تصيرينَ عجوزاً!»

«إن تفوّهتَ بكلامِ المعاتيهِ هذا فسأغادرُ في الحال!»

«غادري! كُرمى للمسيحِ غادري!»

قد لا تَرفعُ عينيها عن النّهر الجافّ. «حسناً»

«لا تُغادري» قد يقول. «لا تغادري»

«لِمَ تتفوّهُ بمثلِ ذلكَ الكلام؟ لِمَ تتشاجَرُ معي؟»

قد يجلِسُ على السرير ويحتضِنُ رأسَهُ بيديه. «كي أتأكّدَ من أنَّكِ لا تزالين تنبضينَ بالحياةِ»

كانت حينَ تستيقِظُ، في بعضِ الصباحاتِ الحارّةِ، تجِدُ أنَّ عينيها منتفختان وثقيلَتان، فتتساءل عمّا إذا كانت تبكي أم لا.

-73-

كانَت قد تبقّت لهُم عشرةُ أيامٍ ليقضوها في الصحراء.

«تعالَي وشاهِديني وأنا أصوِّرُ اليوم» قالَ كارتر.

«لاحِقاً» قالت. «لاحقاً ربّما»

وبدلاً من الذهابِ إلى موقعِ التصوير، بقِيَت في النُّزُل تتمعّنُ في صُوَرِ حوادِثِ السيرِ على الطريقِ السريعِ في مكتبِ نائبِ مديرِ الشرطة، مُستحضِرَةً لحظاتِ الاصطدام. أحسَّت كأنّها تتذوّقُ دماءَ الضحايا في فمِها الجافّ. ظلَّت تتمعّنُ في الصُّوَرِ باستخدامِ عدسةٍ مكبِّرةٍ بحثاً عن مزيدٍ من التفاصيل المُستتِرة، عن السِّنِّ التي كانت واثقةً من أنّها لا بُدَّ مُلقاة على الرصيف، وعن الأفعى الجُلجليّة التي كانت واثقةً من أنّها لا بُدَّ مُختبئةٌ عند الحاجِز. وفي اليومِ التالي، استعارَت مُسدّساً مِن أحَد الممثلينَ البُدلاء، ثُمَّ انطلَقَت بمركبتِها إلى الطريقِ السريعِ وأطلقَت النارَ على اللافتات.

«كانَ ذلكَ تصرّفاً أرعن» قالَ كارتر. «لِمَ فعلتِ ذلك؟»

«فعلتُهُ فحسب»

«أريدُ منكِ أن تُعيدي المسدّسَ إلى فارِس»

«أعدتُه»

«لا أريدُ أن أرى أيَّ مسدّساتٍ هُنا»

نظرت ماريا إليه. «ولا أنا» قالت.

«لم أعُد أحتمِلُ تلكَ الهيئة اللامبالية» قالَ كارتر. «أريدِكُ أن تستيقظي.
وأريدُكِ أن تأتي معنا اليوم»

«لاحقاً» قالت ماريا.

بدلاً من الذهابِ معهُم، ظلّت جالسةً في المقهى تتحدّثُ إلى المرأةِ التي تُديرهُ.

«سوفَ أغلِقُ المقهى اليومَ في تمامِ الساعة الرابعة» قالت المرأةُ في الساعة الثانية. «ربّما لاحظتِ أنّ اللافتة على البابِ تُحَدّدُ وقتَ الدوامِ منَ الساعة السادسة صباحاً حتّى الساعة الثانية ظُهراً. ومن الساعة الرابعة حتّى...»

«الساعة السادسة والنصف مساءً» قالت ماريا.

«لاحظتِها إذاً»

«ماذا تفعلينَ عادةً ما بينَ الساعة الثانية والساعة الرابعة؟»

«أذهبُ إلى منزلي، عادةً..» نظرت المرأةُ إلى ماريا. «اسمعي. هل تودّينَ المجيءَ معي؟»

كانَ منزلُها عند حافّةِ المدينة، وكانَ عبارةً عن كارافانٍ موضوعٍ على أرضيّةٍ صُلبة. كانت الأرضيّةُ الصُّلبَةُ مُقامةً في مكانِ بُستانٍ قديم، وكانت مُحاطةً بسياج، ووراءَ السياجِ مئاتُ الأميالِ من الرمالِ المُنجرِفة.

«عندي السياجُ الوحيدُ في المدينة. أقامَهُ لي قبلَ رحيلِه»

«لي» حاولت ماريا أن تتذكّرَ القصّةَ التي أتت فيها المرأةُ على ذِكرِ لي.

«وإلى أينَ رحَل؟»

«عثَرَ على فتاةٍ أحبَّها في بارستو. سبَقَ أن أخبرتُكِ. اسمُها دورين بيكر»

كانت الريحُ تجرِفُ الرّمالَ من خلالِ السياجِ إلى الأرضيّةِ الصُّلبة، فتجمّعَت الرمالُ حولَ الدعامات وغطّت كُرسيّاً. انفَجَرت ماريا بالبُكاء.

«عزيزتي» قالت المرأة. «هل أنتِ حبلى؟»

هزّت ماريا برأسِها أنْ لا، وبحثَت في جيبِها عن منديلٍ ورقيّ. تناولت

المرأةُ مكنسةً وبدأت تكنُسُ الرملَ وتجمَعُهُ في أكوامٍ صغيرة ثمَّ تزيحُها نحوَ السياج.. وفي الأثناءِ كانت موجةٌ أخرى من الرملِ قد اقتَحَمت السياج.

«هل اتّخذتِ موقِفاً حازِماً من قبل؟» قالت المرأةُ فجأةً، تارِكَةً المكنسةَ تقعُ على السياج.

«بشأنِ ماذا؟»

«أنا اتّخذتُ موقفاً حازماً عامَ 1961، حينَ التقَيتُهُ في بارستو، ومنذ ذلكَ الحين لم أذرِف دمعةً واحدة»

«لا» قالت ماريا. «لم أتّخِذ موقفاً حازماً بعد»

-74-

عندما كُنتُ في العاشرة من عُمري، علّمني أبي أن أُقيِّمَ بسُرعةٍ الاحتمالاتِ المتغيّرة على طاولةِ القمار (كرابس): فحَفِظتُ تصميمَ طاولة الكرابس عن ظهرِ قلب، وصِرتُ أراها في منامي، فأرى المِضمارَ وخطّ العبورِ، وحتّى المالَ على رقم ستّة أو ثمانية، أو خمسة لواحِد أو سبعة. دائماً عندما أستذكرُ صوتَ أبي أجِدُهُ يُنبّهُني، بنبرتِهِ الخشِنة ذاتها دونَما تزويق، إلى أن أسلُكَ الطريقَ أمامي دونَ أن أُعَسِّرَه. علَّمَني أبي أنّ الحياةَ تُشبِهُ لُعبة الكرابس. وقد كانَ ذلكَ أحدَ الدّرسَينِ اللذين تعلَّمتُهُما في صِغَري. أمّا الدرسُ الثاني فهوَ أنّ المرءَ حينَ يقلِبُ صخرةً قد يجِدُ تحتَها أفعى جلجُلّية. وكحالِ كُلّ الدّروسِ التي يتعلَّمُها المرءُ في صِغَرِهِ، أثبَتَ هذانِ الدرسانِ صِدقَهُما، بيدَ أنَّ كِلَيهِما غيرُ متّفقٍ عليه.

-75-

كانت جالسةً في النُّزُلِ قُبَيلَ الغُروبِ، تُحدّقُ في النّهر الجافِّ حتّى بدَت لها شقوقُهُ ورمالهُ التي تدورُ فيهِ تصويراً للأرضِ والقَمَر. ولمّا دخَلَ عليها بي زي لم تنظُر إليه.

«دعيني أرفّه عنكِ»

لم تنبس ماريا بكلمة.

«يُمكنني أن أخبِرَكِ عن هاريسون عندما نعَتَ إحدى الفتيات بِالعاهرة البذيئة»

«لا تُدخّن هُنا يا بي زي، من فضلِك»

«ولِمَ لا»

نهَضَت وملأت قدحَ ماءٍ دافئٍ من الصنبور. «لأنّ تدخينَ الحشيش جريمة»

ضحِكَ بي زي. جلَسَت ماريا على السرير وشرِبَت الماء وراقَبَتهُ إذ يلفُّ سيجارة.

«قُلت لكَ لا تفعل يا بي زي!»

«أحسُّ أنّكِ ترغبينَ في أن أغادرَ الحُجرة»

«أحسُّ أنّني لستُ في مزاجٍ جيّدٍ للحديثِ مع أيّ أحد»

«ليسَ عليكِ أن تتحدّثي إليّ» أشعَلَ السيجارةَ وقدَّمَها لها. «هل تُريدين أن تعرفي أينَ كارتر الآن؟»

«ما زالَ يُصوِّر»

«ماريا، الساعة الآن السابعة والنصف مساءً»

«أستسلِم!»

«إنّهُ بصُحبةِ هيلين»

«ظننتُ أنّكَ لا تُريدُني أن أتحدّثَ إليك»

«أنتِ لا تُصغينَ إليَّ يا ماريا. إنَّ كارتر يُضاجِعُ هيلين الآن. ظننتُ أنَّ هذه الأشياء تهمُّكِ!»

نهَضَت ماريا، وسارت نحوَ النافذة. كانَ الضوءُ المُسلطُ على النّهر الجافِّ قد خفَتَ بعدَ الدقائقِ القليلةِ التي شتّتَ فيها بي زي تركيزها. سوفَ تستعيرُ إحدى الكاميرات يومَ غدٍ، وتُسلّطَها على النّهر الجافّ لمدّة أربع وعشرين ساعة.

«أخبريني، ما الذي يهمّكِ؟» قالَ بي زي.

«لا شيء!» قالت ماريا.

-76-

إن كانَ كارتر وهيلين يرغبانِ في أن يعتقِدا أنَّ ما حدَثَ كانَ نتيجةَ جُنونٍ فيَّ، فليعتقِدا ما يشاءان! لا يُريدانِ سوى إلقاءِ اللوم على أحدٍ ما. فإنَّ كارتر وهيلين ما يزالانِ يؤمنانِ بأنَّ لكلّ نتيجةٍ سبباً. كما أنَّهُما يؤمنانِ بأنَّ الناسَ إمّا أن يكونوا عاقلينَ وإمّا أن يكونوا مجانين. عِندما جاءَت هيلين لزيارتي مرّةً في المصحّةِ العقليّة، بعدَ أسبوعٍ من أحداثِ الصحراء، حاولتُ أن أبيّنَ لها خطأها في تلكَ الليلة الأخيرة لمّا صرَخت في وجهي ورَمَتني باللامبالاةِ والأنانية والجنون، وكأنّما كُنتُ جاهلةً بِما أقدَمَ عليهِ بي زي. قُلتُ لها: أنا أتفهَّمُ ما أقدَمَ بي زي على فِعلِهِ تماماً. ولكنَّ هيلين لم تنفكَّ تصرُخ في وجهي!

سُحقاً، قُلتُ لهيلين. سُحقاً، قُلتُ لهُم جميعاً.. طبيبةٌ جرّاحَةٌ أنا، وسأستأصِلُ شأفةَ الأوجاعِ من حياتي! دونَ نقاش، استئصالاً فوريّاً. هكذا، أصيرُ شبيهةً بالطبيبِ الوحيدِ في لوس أنجلوس الذي يُجري عملياتٍ متقنة ونظيفة.

-77-

«ما رأيُك؟» سألَت ماريا كارتر.

«بماذا؟»

«بما أخبرتُكَ بهِ توّاً. ذلكَ الرجُل في الكرافان، الذي أخبرَ زوجتَهُ بأنّهُ سيذهبُ ليتنزَّهَ وحدَهُ كي يُكَلِّمَ الله»

«لم أُصغِ لما قُلتِ يا ماريا. ما الحِكمةُ من القصّة؟»

«لا حِكمة. عثَرَت عليهِ دوريّةُ شُرطةِ الطريقِ السريع جُثّة هامدة، بسببِ لدغةِ أفعى جُلجليّة»

«لا حِكمة فعلاً!»

«هل تعتقِدُ أنّهُ كلَّمَ الله؟»

نظَرَ كارتر إليها.

«أعني، هل تعتقِدُ أنَّ الله كلَّمَه؟ أم لا؟»

خرَجَ كارتر من الحُجرة.

لم تنخفِض حرارةُ الجوّ. كانَ الهواءُ خفيفاً. ليلاً، تمَّ تفجيرُ جهاز نوويّ كانَ مدفوناً أسفَلَ البُقعة التي كانت سيلفر ويلز. واستيقَظَت ماريا قُبيلَ الفجرِ كي تشعُرَ بالانفجار. ولكنّها لم تشعُر بشيء.

«سوفَ أحاولُ مرّةً أخرى» قالَ كارتر عندما رآها جالسةً بجانبِ النافذة.

«أخبريني بما تُريدين»

«لا شيء»

«ما أريدُ سوى مساعدتكِ. أخبريني بما تشعُرين»

نظَرَت إلى اليدِ التي مدّها إليها. «لا شيء» قالت.

«أقسِمُ بالمسيحِ إن كرّرتِ هذه الكلمة ثانيةً...»

هزّت بكتِفَيها. فغادَرَ هوَ النُّزُل.

لم تتبقَّ لهُم سوى ثلاثةِ أيامٍ سيقضونَها في الصحراء.

-78-

لم أكُن أنزعِجُ قط في المصحّةِ، ولا أنزعِجُ هُنا، إلّا عندما يأتي كارتر -أو تأتي هيلين- لزيارَتي. لا أحدَ يُزعِجُني هُنا. وما يشغَلُ بالي سوى أمرُ كيت. أنا أريدُ كيت.

-79-

«صوَّرنا آخِرَ المشاهِد الرئيسة بعدما غادرتِ عصرَ هذا اليوم» قالَ كارتر عندما دخَلَ بصُحبةِ هيلين. «ولم تتبقَّ لنا سوى ثلاثة مشاهِد فرعيّة سنُصوّرُها صباحَ الغَد، ثمَّ نُغادِر. رائع!»

«كانَ أداءُ سوزانا مُبهِراً» قالت هيلين. «ما أبرَعَها!»

لم يقُل بي زي شيئاً. وكانت ماريا تُحدّقُ في الأفقِ من النافذة.

«فاتتكَ مُشاهدةُ كارتر وهوَ يُمثّلُ معها»

«أراهِنُ على أنّهُ كانَ بارِعاً» قال بي زي. «بارعاً!»

-80-

عندما تواصَلَ معي إيفان كوستيللو عبرَ مقسَمِ الهاتف، أخبَرني أنّني فقدتُ حِسّ الفُكاهة. وعلى الرغم ممّا يعتقِدُهُ كارتر وهيلين عنّي، فلربّما كانَ كُلّ ما فقدتُهُ حقاً هوَ حسّ الفُكاهة!

-81-

«كُنتِ مُذهلةً اليوم» قالت هيلين عندما دخَلَت سوزانا وود.

«بارعة» قالَ بي زي. «موهوبة حقاً!»

استلقَت سوزانا وود على سريرِ ماريا. «دعونا نذهبُ إلى فيغاس»

«تلكَ هيَ الخطّة» لم تنظُر هيلين إلى بي زي. «وسيذهبُ معنا سيلفي روث، وكيسي، وليونا، و..»

هبَّ بي زي واقفاً. «فلتذهبوا أنتُم إلى فيغاس»

«ألا تُريدُ رؤيةَ سيلفي؟»

«كلا»

«ألا تُريدُ مُشاهدةَ عرضِ ليونا الأخير؟»

«كلا»

تشنّجَت حِبالُ هيلين الصوتيّة. «فماذا تُريدُ إذاً؟»

قرقرَت سوزانا وود. «رأيتُ قائمةَ أفضلِ الأغاني اليوم، وقد حصَلَت أغنيةُ ليونا على المرتبة الخامسة والثمانين»

نظَرَ بي زي إلى هيلين. «لا شيء» قالَ بسرور.

أوقَعَت ماريا طبَقَ مُكعّباتِ ثلجٍ على الأرضيّة.

-82-

كارتر وهيلين ما يزالانِ يتساءلان. أنا كُنتُ أتساءلُ في الماضي، وبِتُّ أعرِفُ الإجابة: لا شيء. الإجابةُ هيَ: لا شيء. والآن، بِما أنّني حصلتُ على الإجابة، فإنَّ مخطّطاتي المستقبليّة ستكون: (1) أن ألمّ شملي معَ كيت. (2) أن أعيشَ مع كيت وحدَنا. (3) أن أبتاعَ بعضَ المعلّبات: البرقوق الداكِن، ومُربّى المشمش، ومُنكّهات هنديّة حُلوة، وخوخ هنديّ مخلّل، وصلصة التفاح، والذرة مع الفولِ بالزّبدة. وربّما أجِدُ متجراً فيهِ كُلّ تلكَ المعلّبات. فعلى الرغمِ من كلّ شيءٍ، سأبقى ابنةَ هاري وفرانسين وايث، والابنة الروحيّة لِبيني أوستن. وقد كانَ ثلاثتهم يعرِفونَ الإجابة ويتظاهَرونَ بأنّهُم يجهَلونَها: «تعامَل مع الأشياءِ كما هيَ، كيفما اتّفَق، ولا تستسلِم» ولكنَّ بي زي ارتأى سلوكَ طريقٍ آخر. ولولا أنَّ كارتر وهيلين حريصانِ جداً وحَذِرانِ جداً، لعَرَفا الإجابة.

-83-

«خِلتُكِ ذهبتِ إلى فيغاس» قالَ بي زي عندما فتَحَت ماريا لهُ الباب. كانت في يدِهِ قنّينةُ فودكا، وكانَ يرتدي -رغمَ الحرارةِ المرتفعةِ- سُترةً وربطةَ عُنُق.

«مع كارتر وهيلين وسوزانا وهاريسون وسيلفيا وكاسي وليونا و..»

«أنتَ تعرفُ أنّني لن أذهب» عادَت ماريا لتستلقي على السرير.

«حسناً. كُنتُ أعرِف» جلسَ على حافّة السرير وأرخى ربطةَ عُنُقه. «انظُري إليَّ كيف تأنَّقت! لِمَ أنتِ مستلقيةٌ على السريرِ والساعةُ ما تزالُ التاسعة؟»

«ولِمَ لا!»

«جميل!»

نظرت ماريا إليه. «قُل لي لِمَ أنتَ حزين؟»

«أنتِ فتاةٌ طيّبة» بدا أنَّ الحياةَ قد اختَفَت من مُحيّا بي زي. وضَعَ قنّينة الفودكا، ومدَّ يدَهُ في جيبِه. «هل تعرفينَ ما هذه؟»

ألقى عشرينَ أو ثلاثينَ قُرصاً على السريرِ قبلَ أن تُجيب.

«أقراصٌ مخدّرة»

«أتُريدينَ بعضها؟»

نظَرَت إليه. «لا»

«ما زلتِ مُستمرَّةً في هذه اللعبة، لعبة الحياة» ظلَّ بي زي ينظُرُ في عينَيها. «ذاتَ يومٍ، ستستيقِظين وقد ماتت فيكِ رغبةُ اللَّعِب»

«تلكَ طريقةٌ جبانةٌ لاعتزالِ اللَّعِب»

«لم أتوقَّع أن تُجادِليني في الأمر!»

«أنا لا أجادِلُك»

«أعرِفُ ذلك. وما كُنتُ لآتيكِ لو أنّني ظننتُ لِلحظةٍ أنّكِ قد تُجادلينني»

أمسَكَت ماريا بيدِه. «لِمَ أنتَ هُنا؟»

«لأنّنا، أنا وأنتِ، نُدرِكُ أمراً ما. لأنّنا أدركنا أنْ لا شيءَ في الحياةِ يستحقّ. لأنّني أردتُ.. أنتِ تعرفين!»

«فقط استلقِ هُنا» قالت بعدَ مُدّة. «اخلُد إلى النومِ فحسب»

لمّا استلقى إلى جانبِها، تدحرَجَت أقراصُ المُخدّرِ على الغطاء. وفي الحانةِ قبالةَ النُّزُل، أعادَ أحدُهُم تشغيلَ أغنية مَلِك الطريق في صندوقِ الموسيقى، كما حدَثَت مُشاجرةٌ في الطريق، وكَسَرَ أحدُهُم قنّينة زجاجيّة بغَضَب. ظلّت ماريا ممسكةً بيدِ بي زي.

«هل تسمعين؟» قالَ. «تخيّلي أنَّ حياتَكِ ما زالت ذات معنىً، وتستحقُّ أن تكسري قنّينة زجاجيّة انتصاراً لها»

«ما أجمَلَ ذلك!» قالت ماريا. «اخلُد إلى النوم»

كانت توشِكُ أن تغُطّ في النومِ عندما أحسَّت بثِقَلِهِ يُرفَعُ عن السرير.

«لا تفعل» قالت، ثمَّ فتحَت عينيها.

رأتهُ يبتلعُ جُلَّ أقراصِ المخدّرِ مع كأسِ ماء. فلم يبقَ منها سوى القليل على السرير.

«لا تُفكّري في إلقاءِ مواعِظَ فارغة عليَّ الآن!» أطفأ بي زي الضوء، وعادَ ليستلقي إلى جانبِها. «أمسكي بيدي. وعودي إلى النوم»

«أنا آسفة» قالت بعدَ مُدّة.

«لا تتركيني» قال بي زي.

عندما أستيقَظَت ماريا صباحاً، كانت الحُجرةُ تفيضُ بالنّور، وكانَ كارتر يهزّها بعُنفٍ وهيلين تصرُخُ ملءَ فيها. فكّرت ماريا في أنّها لم تسمع قطُّ أحداً يصرُخُ مثلما كانت هيلين تصرُخُ لحظتَها. أغمَضَت عينَيها تفادياً للنّورِ، وصمَّت سمعَها تفادياً لصراخِ هيلين، وأطفأت عقلها تفادياً لِما سيحدُثُ في الساعاتِ القليلةِ القادمة.. وأحكَمَت قبضَتَها على يدِ بي زي.

-84-

هاتفني كارتر اليوم، ولكنّني لم أجِد في الحديثِ معهُ نفعاً. في العموم، أنا لا أتحدّثُ مع أحد. وأصبُّ كلّ تركيزي فقط على الطريقةِ التي يسقُطُ فيها الضوءُ على الأوعيةِ الزجاجيّة الموضوعةِ على حافّةِ نافذةِ المطبخ. أستلقي هُنا في ضوءِ الشمسِ، أتأمّلُ طائراً طنّاناً. صباحَ اليوم، ألقيتُ العملات النقديّة في بِركةِ السباحة، فالتَمَعَت وتقلَّبَت في الماءِ بِطريقةٍ مُدهِشَةٍ كادَت تدفَعَني لتأمُّلِ ما نُقِشَ عليها، ولكنّي امتنَعت.

في الدفاعِ عن نفسي، أودُّ ذِكرَ أمرٍ واحِد على الرغمِ من أنّهُ لم يعُد مهمّاً: أنا أعرِفُ أمراً يجهَلهُ كارتر، وتجهَلُهُ هيلين، وربّما تجهَلونَهُ أنتُم أيضاً. أنا أعرِفُ معنى اللاشيء، وسأظَلُّ صامدةً في هذه اللعبة!

ولماذا تستمرّينَ في اللَّعِب، قد يسألُ بي زي.

وأنا أُجيب: ولِمَ لا!

لا ينفكُّ كُلُّ إنسانٍ، في هذه الحياة، يُصارعُ أمواجَ بحرِ أسئلتِها طيلةَ عُمُرِه، فإمّا أن يقهرَها ويُلهِمَ الأجوبةَ الشافيةَ فيَصِلَ أخيراً إلى برِّ الأمانِ، وإمّا أن تستهلِكَهُ الأسئلةُ وتفِرَّ منهُ أجوبتُها فينتهي بهِ الحالُ مُحطّماً فوقَ صخورِ الشاطئ. غيرَ أنَّ بطلةَ هذه القصّة، ماريا وايت، اتّخذت طريقاً قلَّ سالكُوه: فاختارَت ألّا تخوضَ البحرَ، وأن تعتزِلَ الصِّراعَ وتكتفيَ بعَيشِ الحياةِ كما هيَ، لأنّها تؤمِنُ بأنَّ أسئلةَ الحياةِ لا أجوبةَ لها - وإن وُجِدَت أجوبةٌ، فإنّها لن تعدو كونَها نسبيّةً وغيرَ متّفقٍ عليها. كما تؤمِنُ بأنَّ الغايةَ من الحياةِ مفقودة، والمعنى غائب. وكما قالَ شكسبير: ما الحياةُ إلا مسرحٌ كبيرٌ، وما النّاسُ إلا ممثّلون. أو كما قالت ماريا، عن أبيها: ما الحياةُ إلا طاولةُ قِمارٍ، وما الناسُ إلا لاعبون. ولذلك، فإنَّ درسَ الحياةِ الأعظَم، هوَ أن يستمرَّ الإنسانُ الفَطِنُ في اللّعِبِ كيفَما اتّفَق، وأن يسلُكَ دربَهُ المرسومَ لهُ في الحياةِ دونَ أن يُعَسّرَه.

وهذا بالضبط ما التزَمَت بهِ البطلَة.

نشَرَت الكاتبة الأمريكيّة الشهيرة: جوان ديديون هذه الروايةَ، التي صنّفَتها مجلّة التايم فيما بعدُ ضِمنَ أفضلِ مئة رواية إنجليزيّة، عام ١٩٧٠ .

وحُوِّلَت في عام ١٩٧٢ إلى فيلم هوليوودي شارَكَت ديديون في كتابةِ نصّهِ السينمائيّ مع زوجِها جون دون. والجديرُ بالذِّكرِ، أنَّ للروايةِ رُواةً عِدّة:

ماريا: التي تفتَحُ أمامنا نحنُ القرّاءَ بابَ الرّواية.

هيلين: التي تُطلِعُنا على جانِبِها المُثيرِ من القصّة.

كارتر: الذي يُطلِعُنا أيضاً على جانِبهِ من القصّة. الغائِب: وهوَ صوتُ الكاتبةِ ذاتِها -ديديون- ربّما. ومِنهُ نعرِفُ كلَّ التفاصيل.

أثارت الروايةُ جدلاً واسِعاً بينَ قُرّائها ونُقّادِها وتفاوتت الآراءُ حولَها، بيدَ أنَّ الجميعَ اتّفقوا على أمرٍ واحِدٍ، وهوَ أنّ الروايةَ صعبة ومُجهِدة (ليست صعبةَ القراءة، بلِ صعبةَ الاحتمال). وربّما يُدرِكُ القارئُ ذلكَ أثناءَ قراءتِهِ للروايةِ، وبعدما يُنهيها. إنّ هذه الروايةَ قد لا تُبهِجُ قارِئَها، ولكنّها -دونَ ريبٍ- ستُحدِثُ فيهِ أثراً وتترُكُ بصمة.

9 789933 604370